محاضرات في علم الاجتماع الاسلامي

اعداد

د. آمال عبدالوهاب محمود

مدرس بقسم علم الاجتماع

العام الجامعي

٢٠٢١م/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ
إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣ - ١٠٤

بيانات الكتاب

الكلية: الآداب

الفرقة: الثانية

التخصص: علم الاجتماع

تاريخ النشر: ٢٠٢١م/٢٠٢٢م

عدد الصفحات:

مقدمة

في ظل ما يشهده العالم، من تطورات وتغييرات سريعة ومتلاحقة في شتى مناحي الحياة، والتي ألقت بظلالها على الحياة الاجتماعية وتأثرت بها القيم والمعايير والتي بدورها أدت بالإنسان المعاصر إلى حالة من التوتر والاضطراب. إننا في حاجة إلى علم اجتماع إسلامي من أجل فهم المعتقدات والمجتمعات الإسلامية، وتوظيف المعرفة والقيم الإسلامية داخل إطار علم الاجتماع بشكل أكاديمي. وما ينبغي التأكيد عليه هو أن علم الاجتماع العام، بالرغم من قيمته التحليلية والإجرائية، لا يمكن اعتماده والركون إليه نموذجاً علمياً لتحليل إشكاليات الأمة الإسلامية. لأنه وليد أطر اجتماعية مختلفة من حيث العقيدة والهدف والنماذج التي يريد بناءها.

وما نطمح الوصول إليه؛ علم اجتماع إسلامي نابع كلية من قضايا مجتمعاتنا وأطرها الثقافية. وهذا ما يدلل عليه المحتوي العلمي الموجود بين ايدينا. ويشمل:-

الفصل الاول: علم الاجتماع والدين.

الفصل الثاني: ماهية علم الاجتماع الديني.

الفصل الثالث: ماهية علم الاجتماع الاسلامي.

الفصل الرابع: الدين والتغير الاجتماعي.

الفصل الخامس: المسجد والمجتمع الاسلامي.

الفصل السادس: التنمية من منظور اسلامي.

المحتوي

مقدمة

الفصل الاول: علم الاجتماع والدين.

الفصل الثاني: ماهية علم الاجتماع الديني.

الفصل الثالث: ماهية علم الاجتماع الاسلامي.

الفصل الرابع: الدين والتغير الاجتماعي.

الفصل الخامس: المسجد والمجتمع الاسلامي.

الفصل السادس: التنمية من منظور اسلامي.

المراجع:

الفصل الاول

علم الاجتماع والدين

Regional And Sociology

مقدمة

لم يعد علم الاجتماع فقط علماً مستقلاً حيث تنطبق عليه كل الخصائص العلمية الموضوعية من حيث الموضوع والمنهج والقوانين، وإنما أصبح علم الاجتماع مولداً ومنبعاً للعلوم الاجتماعية والطبيعية علي حد سواء كالأنثروبولوجيا الاجتماعية، وعلم الاجتماع الاقتصادي، والديني والسياسي والجنائي والسكاني والجمالي والقانوني والاخلاقي والريفي.

فيهتم علم الاجتماع بالدراسة المنظمة لأشكال التفاعل الانساني ويتم ذلك من خلال الأحداث التاريخية والمعتقدات والتأثيرات الاجتماعية التي تؤثر علي الفرد والأسرة والجماعة.

فالفرد الذي يعيش في مجتمع معين يجد نفسه خاضعاً من تلقاء نفسه لما يسود في هذا المجتمع من عقائد وتقاليد ونظم ، وليست هذه النظم من صنع الافراد، بل انها ضرورة حتمية تتطلب الاستجابة لها.

بالرغم من أن التفكير العلمي بالنسبة للظواهر الاجتماعية لا يرجع إلي عهد بعيد، فأن المسائل التي تتعلق بحياة المجتمع ظلت تشغل عقول المفكرين منذ أزمنة بعيدة، فهناك الكثير من الباحثين السوسيولوجي من يرجع الدراسات الاجتماعية إلي أصول تاريخية، فمنهم حتي من الغرب خلافا علي العرب الذين يهتمون بتاريخ علم الاجتماع يرجعونه للعلامة ابن خلدون، الذي عرف بعلم الاجتماع البشري أو العمران البشري، وآخرون يرون أن العالم الإيطالي فيكو هو الأب الحقيقي لعلم الاجتماع، إلا أن كونت فرض نفسه أيضاً باعتباره هو من أطلق المصطلح الحديث علي هذا

العلم(السوسيولوجيSociology) لذلك وجب علينا أن نقف علي حقيقة هذا العلم وايضاً الاجابة علي الاسئلة التالية: ما علم الاجتماع؟ وما موضوعاته؟ ومن هم رواده؟ وما هي الأسس المرجعية التي يستند إليها هذا العلم؟

اولاً: نشأة علم الاجتماع ورواده.

لم يعد علم الاجتماع فقط علماً مستقلاً حيث تنطبق عليه كل الخصائص العلمية الموضوعية من حيث الموضوع والمنهج والقوانين، وإنما أصبح علم الاجتماع مولداً ومنبعاً للعلوم الاجتماعية والطبيعية علي حد سواء كالأنثروبولوجيا الاجتماعية، وعلم الاجتماع الاقتصادي، والديني والسياسي والجنائي والسكاني والجمالي والقانوني والاخلاقي والريفي.

فيهتم علم الاجتماع بالدراسة المنظمة لأشكال التفاعل الانساني ويتم ذلك من خلال الأحداث التاريخية والمعتقدات والتأثيرات الاجتماعية التي تؤثر علي الفرد والأسرة والجماعة.

فالفرد الذي يعيش في مجتمع معين يجد نفسه خاضعاً من تلقاء نفسه لما يسود في هذا المجتمع من عقائد وتقاليد ونظم ، وليست هذه النظم من صنع الافراد، بل انها ضرورة حتمية تتطلب الاستجابة لها.

ويعد علم الاجتماع توجه أكاديمي جديد نسبيا بين علومِ الاجتماعيات الأخرى بما فيها الاقتصادِ، عِلْم السياسة، عِلْم الإنسان، التاريخ، وعلم النفْس. لكن الأفكار المؤسسة له، على أية حال، ذات تاريخ طويل ويُمْكِنُ أَنْ نتتبّعَ أصولَها في خَلِيط

المَعرِفَة الإنسَانِيَّةِ والفلسفة المشتركة. لقد ظهر علم الاجتماع كما هو حاليا كصياغة علمية في أوائِل القرن التاسع عشرِ، كرَدّ أكاديمي على تحدي الحداثةِ: فالعالم كَانَ يتحول إلى كل متكامل ومترابط أكثر فأكثر، في حين أصبحت حياة الأفراد أكثر فردية وانعزالا. تمنى علماء الاجتماع أَنْ يَفْهموا التحولات التي طرأت على المجموعاتَ الاجتماعيةَ، متطلعين لتَطوير دواءَ للتفككِ الاجتماعيِ.

رواد علم الاجتماع:

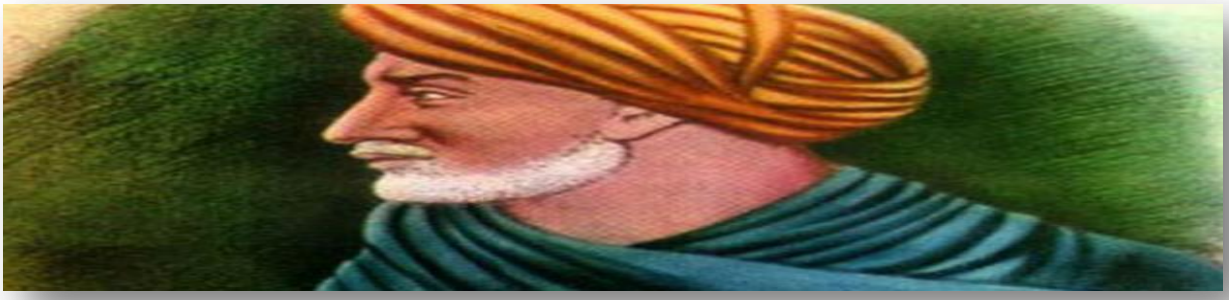

ابن خلدون

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المعروف أكثر باسم **ابن خلدون** (ولد في ٢٧ مايو ١٣٣٢ وتوفي في ١٩ مارس ١٤٠٦) كان فلكيا، اقتصاديا، مؤرخا، فقيها، حافظا، عالم رياضيات، استراتيجيا عسكريا، فيلسوفا، ورجل دولة، يعتبر مؤسس علم الاجتماع. ولد في عهد الحفصيين بإفريقية في ما يعرف الآن بتونس، أصله من الأندلس (إشبيلية). وكان من أسباب نشأة علم العمران "الاجتماع" عند ابن خلدون:-

- وقوع المؤرخين في الكثير من الأخطاء نتيجة تعصبهم لمذاهب معينة وكذلك الجهل بالقوانين الاجتماعية السائدة.

- كما يعد ابن خلدون أول ما وضع المبادئ العامة التي يرتكز عليها علم الاجتماع.

اوجست كونت

ويُعَد "**أوجست كونت**" الذي صك هذا المصطلح عام ١٨٣٠ وربط فيه بين الكلمة اللاتينية Socius، وتعني شعباً أو قبيلة أو مدينة متحالفة مع روما (وأصبحت تعني فيما بعد كلمة المجتمع Society)، والكلمة اليونانية Logos، وتعني العقل أو المعرفة. وسرعان ما انتشر هذا المصطلح بشكل واسع، وأصبح يُستخدم فعلياً في جميع اللغات للدلالة على كل دراسة علمية واعية ودقيقة نسبياً للمجتمع. وتَمنّى كونت توحيد كل الدِراسات البشرية بما في ذلك التاريخِ وعِلْمِ النفْس والاقتصاد. وكان مخططه الاجتماعي الخاص مثاليا يعود إلى القرن التاسع عشرِ؛ حيث اعتقدَ أن كل أنماط الحياة الإنسانية لجميع الشعوب في كل البقاع مَرّتْ من خلالِ نفس المراحلِ التاريخيةِ المُتميّزةِ وبهذا، إذا أمكن للشخصُ أَنْ يُدرك مراحل هذا التطور، فيُمْكِنُ له أَنْ يَصفَ العلاجَ للأمراضِ الاجتماعية.

اميل دور كايم

اميـل دور كـايم: هـو عـالم اجتمـاع فرنسـي، وقـد قـدم الكثيـر لعلـم الاجتمـاع وتصـدى للكثيـر مـن المعارضـين لاسـتقلال هـذا العلـم، وقـام بدراسـة ظـواهر المجتمـع وأنظمته، حتى أصبح زعيم المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع.

قـدم اميـل دور كـايم العديـد مـن الاسـهامات فـي مجـال علـم الاجتمـاع ومنهـا مناقشـة تطـور المجتمعـات ومناقشـة قضـايا كالانتحـار، وكتـب عـن قواعـد المنـهج بعلـم الاجتماع.

اتسـعت كتابـات اميـل دور كـايم فتحـدث بهـا عـن أهميـة علـم الاجتمـاع، ونشـأة النظم الاجتماعية الجديدة، والنظام الأخلاقي في المجتمع والحقائق الاجتماعية.

ثانياً : ماهية علم الاجتماع

علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي للأفراد، والأساليب التي ينتظم بها المجتمع بإتباع خطوات المنهج العلمي. وهو توجه أكاديمي جديد نسبياً تطور في أوائل القرن التاسع عشرِ ويهتم بالقواعد والعمليات الاجتماعية التي تربط وتفصل الناس ليس فقط كأفراد، لكن كأعضاء جمعيات ومجموعات ومؤسسات.

علم الاجتماع يهتم بسلوكنا ككائنات اجتماعية؛ وهكذا يشكل حقلا جامعا لعدة اهتمامات من تحليل عملية الاتصالات القصيرة بين الأفراد المجهولين في الشارع إلى دراسة العمليات الاجتماعية العالمية. بشكل أعم، علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للمجموعات الاجتماعية والكيانات خلال تحرّكِ بشري في كافة أنحاء حياتهم. هناك توجه حالي في علمِ الاجتماع لجَعله ذي توجه تطبيقي أكثر للناس الذين يُريدونَ العَمَل في مكانِ تطبيقي.

علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمع دراسة علمية تعتمد علي المنهج العلمي، وما يقتضيه هذا المنهج من أسس وقواعد وأساليب في البحث

أن علم الاجتماع يدرس الظواهر الاجتماعية والسلوكيات الاجتماعية، والتفاعلات الاجتماعية، وقد ظهر ذلك العلم علي يد العلامة(ابن خلدون) الذي حدده بأنه علم العمران البشري وما يحتويه هذا العمران من مختلف جوانب الحياة الاجتماعية المادية والعقلية، ومروراً بـ أوجست كونت الذي أشتق كلمة Sociology من مقطعين من اللاتينية واليونانية ليشير بهما إلي الدراسة العلمية للمجتمع.

مفهوم المجتمع: هو جماعة انسانية تربطهم ببعضهم عادات وتقاليد وارض وتاريخ ولغة مشتركة.

ثالثاً: أهمية علم الاجتماع

ويهتم علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وصفية تحليلية والغرض منها الوصول إلي الوظيفة التي تؤديها هذه الظواهر والنظم والقوانين التي تحكمها. وتتمثل أهمية علم الاجتماع في:-

١. إدراك الفوارق بين الثقافات:

يساعدنا علم الاجتماع على رؤية العالم بوجهات نظر مختلفة من خلال التعرف على العديد من الثقافات ومعرفة بنيتهم الاجتماعية وأساليب حياتهم، بما يجعلنا نتقبل الآخر ونتقبل عاداته وثقافته.

٢. تقييم آثار السياسات:

معرفة الأثار الناتجة عن بعض السياسات الصادرة من السلطات وأنظمة الحكم ومعرفة تأثير ذلك على المجتمع ونتائجه.

٣. التنوير الذاتي:

يمكننا علم الاجتماع من فهم أنفسنا، وقد نجحت الكثير من المجموعات الاجتماعية في عمل إصلاحات اجتماعية ناجحة كجماعات مدمني الكحول والمخدرات أو جماعات الحفاظ على البيئة.

رابعاً: وظيفة علم الاجتماع

- **الوظيفة الأولى**

وظيفة علمية تهدف إلى تطوير العلم نفسه، وإعمال النقد الذاتي لمختلف الجهود التي بذلت على الصعيدين النظري والمنهجي من أجل الوصول بهذا العلم إلى درجة أكبر من الكفاءة والدقة في استخلاص القوانين الاجتماعية التي يجب أن يفضي عند توظيفها إلى أوضاع أفضل تمكن من التنبؤ بمسار المجتمع الإنساني وبنائه.

- **الوظيفة الثانية**

وظيفة مجتمعية، وهى تشمل جميع الأدوار التي يقوم بها العلم خدمة لمجتمع معين، متدرجاً في العطاء حتى الوصول إلى المجتمع الإنساني ككل. ويمكن أن تندرج تحت هذه الوظيفة وظائف فرعية كثيرة انطلاقا من فهم الواقع وتفسيره، وتناول مشكلاته والتخطيط لتناولها وعلاجها كانت مشكلات فئوية أو قطاعية أو مجتمعية شاملة تشمل المجتمع على وجه العموم.

خامسا: اهتمامات دراسة علم الاجتماع

١. ان علم الاجتماع يدرس المجتمع ككل في ثباته وتغيره، ويدرس الانسان من خلال علاقته بالمجتمع

٢. كما يدرس حصاد تفاعل العلاقات بين هذه الجوانب من جهة وبينها وبين الإنسان من جهة مما يساعد علي إقامة وحدة فكرية شاملة حول الإنسان والمجتمع. اي يهتم بدراسة البناء الاجتماعيsocial structure ككل وما يحتويه من مكونات.

٣. ويهتم علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وصفية تحليلية والغرض منها الوصول إلي الوظيفة التي تؤديها هذه الظواهر والنظم والقوانين التي تحكمها

سادساً: أهداف علم الاجتماع

- **الاهداف النظرية**

- تحديد الدعائم الاساسية التي ترتكز عليها الجماعات ودراسة ظواهر المجتمع لمعرفة المبادئ العامة لحياة ذلك المجتمع وخصائصه.

- دراسة التطورات التي تمر على المجتمع والتي تؤثر على ظواهره وأنظمته، خاصة أن الظاهرة الاجتماعية دائمة التغير والتقلب من فترة لأخرى.

- دراسة الوظائف الاجتماعية ومعرفة مدى تأثرها بحياة المجتمع وظروفه كوظيفة الزواج؛ فالغرض الاساسي منها هو تنظيم العلاقات بين الجنسين والتكاثر، ولكن في بعض العصور أصبح الغرض منها دعم العلاقات بين الحكام والدول.

- دراسة العلاقات الاجتماعية ودراسة الاندماج والتفاعل بين الأفراد، وتأثير ذلك على الجماعات الصغيرة، وصولًا للجماعات الأكبر.

- الوصول إلى القوانين والنظريات الاجتماعية والتي تنظم حياة الجماعة.

- **الاهداف العملية**

- يهدف علم الإجتماع إلى احداث عمليات الإصلاح بالمجتمع والتخطيط وخدمات الخدمة الاجتماعية التي يقدمها العلم نفسه إلى المجتمع.

سابعاً: مفهوم الدين

يعد الدين ظاهرة انسانية عرفتها جميع المجتمعات قديمها وحديثها ، وهناك العديد من الاديان كاليهودية والمسيحية والاسلام، وهناك ايضا البوذية والهندوسية والكنفوشية أديان اليابان والزرادشتية . والعديد من الاديان الخاصة بالقبائل والمسماة بالأديان البدائية

يعد الدين مجموعة من أنماط السلوكيات التي تتحد فقط في تصورنا لها، وليس من الضروري أن تكون لها وحدة طبيعية؛ اذ لا وجود لأي سبب يدعونا إلي افتراض أن كل السلوكيات الدينية تطورت معاً في الوقت ذاته استجابة لتحول منفرد في البيئة،

ولا وجود لسبب وجيه يدعونا عدم افتراض ذلك، وقد نري ان الدين كيان موحد يسعي الي تعريف جوهرة، وإنما ينظر في ما يحتاجه العلم الي معرفته من أجل أن يكتشف كيف ظهر الدين الي الوجود باعتباره سلوكاً إنسانياً. ومن هنا وضعت فرضيه أولية لتوجيه الملاحظات، وقد اقترحت فرضيه اولية تتكون من ثلاث مراحل:-

الاولي: عبارة عن جرد تعريفي لعوامل(agents) غير جديرة بالملاحظة

الثانية: عبارة عن تصنيف فئوي مقدس

الثالثة: تمثل محفزاً علي التضحية العامة

ونظرا للدور الذي يؤديه الدين في حياة الإنسان ، كون تاريخه يمتد بامتداد الوجود البشري ، فقد بات موضوع حدوده ومدياته مثار اهتمام الباحثين ، فهو من المفاهيم المعقدة التي يصعب تعريفها بتعريف جامع مانع ، وعلى مايبدو فإنه لم يُقعد بعد بدليل عدم وجود تعريف متفق عليه ، فتنوع تعاريفه بتنوع مشاربهِ من حيث تنوع المناهج والتوجهات . لكن مع اتساع رقعة التعاريف ، حيث لا يمكن الالمام بها ، وانطلاقا من القول ما لا يُدرك كله لا يُترك جله ، سنأخذ مجموعة تعاريف على صعيدي اللغة والاصطلاح للوقوف على نظرة اجمالية تخص تعريف الدين ، ففي الاطار اللغوي جاء تعريف الدين في اللغة هو العادة ، لأن الناس لا تعيش غالبا من دون دين ، سواء كان دينا سماويا أم وضعيا ، فالدين عادة إنسانية. في اللغة الانجليزية والفرنسية والألمانية ، نجد أن اشتقاق كلمة الدين Religion وأصل اللفظة لاتيني، وهو موضع جدل، اذ اتفق لوشيوس لاكتانتوس و اوغسطين على استخراج لفظة دين Relig من Religio ، ويريدون فيه فكرة الربط: سواء الربط الواجب تجاه بعض الممارسات، أم الربط الجامع بين الناس، أم بين البشر والإلهة ، ومن جهة ثانية يرى

شيشرون ان لفظة (Religion) مشتقة من الفعل المركب ـ Relegere ـ الذي يعني إعادة الجمع او القطف ، او من ـ Relier ـ بمعنى تحديد الرؤية بدقة . ويرى لاشليه أن كلمة Religio على نحو عام في اللاتينية هي الإحساس المصحوب بخوف وتأنيب ضمير بواجب ما تجاه الإلهة، لم يكن لدى القدماء سوى كلمة Religio المفردة دينا ما ، الدين بوجه عام، اذًا كلمة دين لا تخرج من حيث الاستعمال عن معنيين إما الحالة الذاتية Eate Subjectif التي تسمى التدين (Religiosite) أو تلك الحقيقة الموضوعية Fait Objectif التي يمكن الرجوع اليها في العادات الخارجية والمبادئ التي تدين بها امة من الأمم اعتقادا او عملاً ، وهذا المعنى أكثر واغلب. وهذا هو ما يخص الحقل اللغوي للدين او المعنى اللفظي لكلمة دين (Religion).

ومن جهة أخرى نجد المجال الاصطلاحي لتعريف الدين يتسع باتساع المناهج فهي متعددة وعلى ما يبدو فإن الحديث فيها يطول، فالتعاريف منها ما هو نفسي وأخلاقي واجتماعي ولاهوتي، وكما قلنا مسبقاً إن الدين موجود منذ نشأة الإنسانية ولكن بتعبيرات معينة ، لذا سنعمد الى بيان بعض التعريفات للدين ليتضح في ما بعد فرقها عن فلسفة الدين والبداية مع لالاند فقد أحصى في معجمهِ الفلسفي تعريفات تُعد أساسا للدين تتمثل بالاتي: ـ

أـ مؤسسة اجتماعية مميزة بوجود إيلاف من الأفراد المتحدين :

أولاً ـ بأداء بعض العبادات المنتظمة وباعتماد بعض الصيغ .

ثانياً ـ بالاعتقاد في قمة مطلقة لا يمكن وضع شيء آخر في كفة ميزانها ، وهو اعتقاد تهدف الجماعة لحفظه . .

ثالثاً ـ بتنسيب الفرد إلى قوة روحية ، ارفع من الإنسان ، وهذهِ ينظر إليها إما كقوة منتشرة ، أو كثيرة ، أو وحيدة ، هي الله .

ب ـ نسق فردي لمشاعر واعتقادات ، وأفعال مألوفة ، موضوعها الله . فالدين هو تحديد المطالبة بوجهة نظر الشعور والإيمان ، إلى جانب وجهة نظر العلم .

وتفصيل التعريفات السابقة يتضح أكثر مع الاعلام التالية ، فمع وليم جيمس الذي يُعرف الدين بأنه :((هو الأحاسيس والخبرات التي تعرض للأفراد في عزلتهم، وما تقود إليه من تصرفات، وتتعلق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة، يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعدّه إلهياً).

وفي هذا التعريف نجد الاحاسيس جوهر الدين والفرد أسُها وعِمادُها لذا يُعد تعريفاً نفسياً للدين في حين نجد. شلايرماخر

يُعرف **الدين** بأنه: ((هو شعور باللا نهائي واختبار له . وما نعنيه باللا نهائي هنا ، هو وحدة العالم المدرَك وتكامله. وهذه الوحدة لا تواجه الحواس كموضوع ، وإنما تُنبي عن نفسها للمشاعر الداخلية . وعندما تنقل هذه المشاعر الى حيز التأملات ، فانها تخلف في الذهن فكرة الله . وان الخيال الفردي هو الذي يسير بفكرة الله ، إما نحو المفارقة والتوحيد ، او نحو نوع غير مشخص للألوهة يتسم بوحدة الوجود)). وهذا يُعد تعريفاً شعورياً للدين ، لذا سنتوقف عند هذا التعريف في فصل التجربة الدينية للتفصيل فيه أكثر. وفي الاطار الاجتماعي نجد اميل دور كايم يعرفه بقوله:((الدين مجموعة متماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالأشياء المقدسة ـ مميزة وناهية ـ بحيث تؤلف هذه المجموعة في وحدة دينية متصلة لكل من يؤمنون بها)). وهنا جاء تعريفه للدين بطابع اجتماعي صرف فما الدين الا ممارسات ومعتقدات ورموز وطقوس

لجماعة ما مرتبطة بالمقدس . ومن الناحية الاخلاقية نقف مع عمانؤيل كانط وتعريفه الدين بأنه: هو معرفة الواجبات كلها بوصفها أوامر إلهية، وفي هذا التعريف نجد أن الواجبات الأخلاقية إذا التُزِمَ بها بدافع صدورها عن إله، فإنها تصير إلزاماً دينياً؛ ومن ثَم يكون جوهر الدين هو الالتزام الأخلاقي بناءً على أمر إلهي، وينسجم هذا التعريف مع فلسفة كانط ذات الطبيعة الأخلاقية التي تنظر إلى الأخلاق بوصفها المقصد الأسمى، ليس للدين فقط. وهذا طابع اخلاقي في تعريفه للدين . ومن الناحية الوجودية نقف عند بول تيلِتش وتعريفه للدين الذي يُمثل جوهر اطروحتهِ في فلسفة الدين فهو يُعرف الدين كالآتي: ((الدين هو توجه الروح نحو المعنى اللا مشروط)) ، فالدين المحصلة الكلية لكل الأفعال الروحية الموجهة نحو الاستحواذ على الكنه اللا مشروط للمعنى من خلال تحقق وحدة المعنى، فللدين علاقة بالاهتمامات البشرية النهائية ، وهو الأساس لمجمل القرار، أو بُعد العمق الذي يشكل اتجاهات حياتنا، وفي ما بعد سنفصله أكثر . ومن هذه التعاريف نستطيع القول ان الدين علاقة عقيدية بين الانسان والمقدس عنوانها التوجه او الضمير او الشعور او الاخلاق ، والدين بجنبتيه النظري والعملي لا يخلو من معتقدات وطقوس وممارسات ..الخ ، وهو يمثل أرضية ومساحة اشتغال لفلسفة الدين بوصفها محاكمة عقلية للدين يشارك فيها المؤمن والملحد ، بل تنفى عناوين الوصف فيها فالكل سواء في فلسفة الدين ، فهو حقلٌ عنوانه البحث المعمق والسؤال المستمر والاجابة المكثفة ، باحة رائدها العقل بامتياز .

ثامناً: الاهتمام السوسيولوجي للدين

ويعد الحافز للاهتمام السوسيولوجي بالدين راجع الي تقارير الانثروبولوجيين في منتصف القرن التاسع عشر الذين حاولوا دراسة المجتمعات البدائية في أفريقيا وآسيا . وقد توصل هؤلاء العلماء الاجتماعيين الي ملاحظتين أساسيتين هما:-

اولاً:- وجود شكل من أشكال الدين في كل مكان.

ثانياً:- التنوع المذهل في أشكال السلوك الديني.

ولقد لوحظ الدين علي أنه منتشر ومتنوع في كل مكان . ولا تدرك هذه العمومية والتنوع للظاهرة الدينية في المجتمعات البدائية المعزولة. ومع قدوم الاستعمار الاوربي وما ترتب عليه من زيادة في التجارة والاحتكاك المستمر بمجتمعات افريقيا وآسيا ، وتزايدت البحوث الاثنوجرافية التي قام بها العلماء الاجتماعيين. وقد أدت هذه البحوث بدورها إلي تفهم وتحليل التنوع الواسع في الدين.

ولقد أخذ رد فعل المجتمع الغربي نحو هذا التنوع الديني عدة اتجاهات:-

١. ذهب كثيرون ممن ينتمون الي الكنيسة المسيحية إلي هذه الانساق الدينية الأخرى خاطئة وزائفة. والمسيحية هي الدين الوحيد الصحيح ، وهي دين الله، ولهذا طالبوا بمحاولة تصحيح ما يعتقده الآخرون وتحويلهم إلي المسيحية، ومحاولة منع انتشار هذه الاديان الزائفة

٢. أن الاديان جميعاً يجب ان تفهم علي أنها محاولة مخلصة للنضال لحل مشاكل الانسانية المعقدة، ولهذا فان كل دين يعتبر دين مفيدا، وانه علي الرغم من هذا التنوع فان جوهر الاديان كله واحد.

٣. ان الادعاءات المتنوعة للحقيقة الدينية تتصف بالعمومية والتناقض ولذا فهي جميعاً خاطئة ويجب الاستغناء عنها أن أمكن. ويؤكد هذا الاتجاه أنه بتقدم العلم واختفاء الخرافات، سوف يتزايد الاتجاه نحو رفض الدين باعتباره من بقايا عصر ما قبل العالم.

٤. انه علي الرغم من وجود جوانب قيمة في كل هذه الاديان المتنوعة، الا أن أيا منها لا يتصف بالكمال. ولهذا فنحن مطالبون بانتقاء عناصر من كل منها للمجتمع والعصر الذي نعيش فيه.

ويمكن القول أنه لا يوجد واحد منها يناسب العالم الاجتماعي، وذلك لأنها جميعا تنطوي علي أحكام قيمة بشكل أو بآخر. ولعل اهتمام السوسيولوجي بالدين لم يتخذ الشكل الجدي باستثناء دور كايم وزيمل وفيبر، حتي وقت حديث، ويفسر دافيد موبرج هذا بالأسباب الآتية:-

- بعض العلماء اعتقدوا انه لا يمكن أن يدرس امبريقياً.
- تأثر بعض علماء الاجتماع بالعديد من الجماعات الدينية في معارضة البحث السوسيولوجي للدين.
- خوف فريق ثالث من علماء الاجتماع الذين كانوا يعملون في الجامعات الحكومية من فقدان وظائفهم و أنهم تخطوا الحد الفاصل بين الكنيسة والدولة.

- اعتقد آخرون أن الدين يمضي في طريقة إلي الانقراض ولهذا يفضلون الا يضيعوا وقتهم في دراسته.

- يذهب البعض ممن يرفضون الدين من واقع تجربتهم الشخصية الي رفض أي اتصال به حتي ولو كان هذا الاتصال نوعا من البحث.

خاتمة

الدين كظاهرة اجتماعية ، يدخل في علاقة تفاعلية مع الوحدات الاجتماعية الآخري المكونة للمجتمع. وهذه الحقيقة تمثل حجر الزاوية في علم الاجتماع الديني . واذا كان هذا هو منطلق علم الاجتماع الديني فان الامر ليس كذلك في رأي كثير من الناس، فالبعض قد ينظر الي الدين علي أنه السياق الذي يتحد فيه الانسان مع ما هو فوق انساني، وعلي هذا ، فان التجربة الدينية شيء خارج عن التجربة العادية .وقد يري البعض الآخر الدين علي أنه مظهر من مظاهر رد الفعل الغريزي للقوي الكونية . وما زال فريق ثالث يري الدين علي أنه مجموعة من الرسالات الظاهرة من الاله. ومن الملاحظ أن وجهات النظر هذه تقال أو تتجاهل وربما ترفض الجوانب السوسيولوجية .وسواء تكلمنا عن الدين بصفة عامة أو عن دين معين، أو جماعة دينية خاصة فان الدين كظاهرة ينظر اليه أنه تفاعل مع الانظمة والقوي الاجتماعية في المجتمع.

والتأكيد علي الدين كظاهرة اجتماعية يتضمن العديد من الاعتبارات:-

١) أن الدراسة السوسيولوجية للدين تبتعد عن الاحكام المعيارية؛ اي ان الباحث عندما يتناول الدين لا يتناوله من حيث الصدق أو الكذب، النفع او الضرر.

٢) أن علم الاجتماع الديني علم امبريقي ؛ بمعني أنه يتواصل إلي نتائجه من الظواهر التي يدرسها ويلاحظها.

٣) تحتم الوضعية والامبريقية استخدام المنهج العلمي في دراسة الدين. والدراسة العلمية للدين تتطلب البحث عن المتغيرات الدينية، وهذا لا يمكن التواصل اليه عن طريق الوصف والملاحظة.

تدريبات عملية

س اجب عن الاسئلة الاتية

- **تكلم عن نشأة علم الاجتماع وأهم رواده؟**
- **وضح ماهية علم الاجتماع وأهميته ووظائفه واهتماماته وأهدافه؟**
- **عرف الدين، ووضح كيفية تناول الجانب السوسيولوجي للدين؟**

الفصل الثاني

ماهية علم الاجتماع الديني

Regional Sociology

تمهيد:

يعد الدين من الظواهر التي يصعب وضع مدلول لها. وهذا يرجع الي عديد من الاعتبارات؛ لذا وجدنا انفسنا أمام عديد من وجهات النظر، وعديد من المنطلقات التي عالج من خلالها طائفة كبيرة من العلماء ظاهرة الدين

يعرف علم الاجتماع بأنه دراسة تفاعل الجماعات الانسانية وتأثيرها علي أنظمة المجتمع عامة والسلوك الفردي خاصة. وهكذا فان علم الاجتماع له هدفين رئيسين:-

- **الاولي:**- فهم ديناميات حياة الجماعة ، وما هي الجماعات، وما هي وظائفها، وكيف يختلف كل منها عن الاخر.
- **الثاني:**- فهم تأثير الجماعات علي السلوك الفردي والجماعي

وهناك افتراض أساسي لعلم الاجتماع في هذا الاعتبار مؤداه أن النشاط الانساني يتأثر بالجماعة ، وفي خلال حياة الفرد، تخضع مكوناته وغرائزة البيولوجية لتعديلات وتأثيرات وذلك من خلال عمليات التنشئة . وهذه العملية تبدأ في الاسرة وتنتقل الي العديد من الجمعيات والمؤسسات التي يشارك فيها أو يحتك بها الفرد مثل المدرسة، وجماعات العمل، والنوادي، ووسائل الاتصال...

ان الافتراض الاساسي الذي يبدأ منه عالم الاجتماع في تحليله للدين في حقيقته بسيط للغاية مؤداه أنه لا يمكن فهم الدين بمعزل عن باقي انظمة

المجتمع. فالدين جزء من نسق يتأثر ويؤثر في العمليات الاقتصادية والسياسية في المجتمع ، وفي أنماط الاسرة والتكنولوجيا وفي طبيعة المجتمعات المحلية. فلو تغير أجزاء احد اجزاء النظام في كل الاجزاء الأخري قد تتأثر بطريقة أو بأخري.

لقد ذهب علماء الاجتماع الي القول بأن الدين ظاهرة اجتماعية في المقام الأول؛ فالمجتمع من وجهة نظرهم عندما يتعرض لبعض الأزمات فإنه يحاول جاهداً في الخروج منها ويبتكر لذلك الكثير من الحلول وعندما تنجح طريقة معينة للخروج من الازمة

ان **الدين** هو مجموعة مجردة من القيم والمثل أو الخبرات التي تتطور ضمن المنظومة الثقافية للجماعة البشرية.

اولاً: علم اجتماع الدين– علم الاجتماع الديني.

أن علم الاجتماع الديني علم حديث نسبياً فهو لم يبدأ إلا في القرن التاسع عشر، ومن اهم رواده سير جيمس فريزر، وتايلر، اميل دور كايم، راد كليف براون، وبازدياد خبرة المجتمعات البشرية وازياد واعتمادها علي الطبيعة والي ضرورة التحكم بها خاصة عند المجتمعات الزراعية البدائية؛ وبازدياد تأثير الظواهر الطبيعية علي تركيبة هذه المجتمعات وطرق إنتاجها لحاجاتها البشرية، فبقيت المجتمعات البشرية الغير قادرة علي التحكم بأساليب حياتهم ومعيشتهم، الطبيعة والظواهر الطبيعية كان لها الدور الفصل في التحكم بمصير المجتمعات. بدأ الإنسان ضعيفاً عاجزاً أمام قوي الطبيعة وما زال حتي الآن عاجزاً بشكل من الاشكال، فظهر الدين او ما يعرف بالفكر الديني؛ حيث

الاعتقاد بوجود كائنات غير مرئية، او كائنات تعيش في أماكن بعيدة، تتحكم بمصير المجتمعات البشرية فكان لابد من استرضاء هذه الكائنات وطاعتها وتقديم القرابين لها، لتحميهم وتمنع الأخطار عنهم

علم الاجتماع الديني هو العلم الذي يعني بدراسة الظواهر الاجتماعية في المجال الديني ، وهو من أهم العلوم التي تحتاج تطوير ممن له صلة بها من علماء الاجتماع والشريعة، وفيها متسع كبير جدا للبحث في كلا التخصصين.

ويعتبر علم الاجتماع الديني Sociology of Religion فرعاً هاما من فروع علم الاجتماع ، ويتناول هذا العلم دراسة النظم الدينية السائدة في المجتمعات الإنسانية البدائية والمتحضرة ويهتم بدراسة العلاقات المتبادلة والمتفاعلة بين الدينReligion من ناحية والمجتمعSociety من ناحية آخري، ودراسة صور التفاعل بينهما، وقد قدم علم الاجتماع الديني افتراضاً أساسياً وهو ان الدوافع الدينية والأفكار والنظم تؤثر وتتأثر بالقوي الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي والتدرج الطبقي. ويعتبر علم الاجتماع الديني أهم فرع من فروع علم الاجتماع لأنه مصدر الحياة الاجتماعية كلها.

وقد اشار احد علماء الاجتماع أن علم الاجتماع الديني هو العلم الذي يهتم بالدراسة العلمية لتأثير المجتمع والثقافة الشخصية في الدين، كما يدرس ايضاً تأثير الدين في المجتمع والثقافة والشخصية.

ويعرف بأنه العلم الذي يختص بدراسة النشاط الديني للمجتمعات، والعوامل الاجتماعية التي ادت الي اختلاف الشعائر الدينية باختلاف

المجتمعات وعلاقة هذه الشعائر بالأوضاع الثقافية السائدة في كل مجتمع وتأثرها بعادات الناس وتقاليدهم.

ان علم الاجتماع الديني يهتم بدراسة النظم الاجتماعية المتعلقة بالعقائد والعبادات وفهم العالم المقدسي وما تشمل عليه الديانة التي تسير عليها المجتمع من قواعد وتعاليم.

وعلي ذلك فيمكن تعريف علم الاجتماع الديني بأنه: علم وضعي تقريري يهدف الي دراسة المجتمعات الدينية(من نظم وظواهر وعبارات وطقوس دينية) دراسة علمية تحليلية لبيان ما هو كائن، وليس لبيان ما ينبغي أن يكون.

ثانياً:- أهمية دراسة الدين

يعتبر الدين ظاهرة اجتماعية Social Phenomenon ملازمة لنشأة وقيام أي مجتمع بشري، وهو من الجوانب الرئيسية التي تلعب دوراً هاماً في حياة كل من الفرد والجماعة والمجتمع. ويمكن حصر لأهمية دراسة الدين من الوجه الاجتماعية فيما يلي:-

١) اتسام الظاهرة الدينية بالعالميةUniversal فالظاهرة الدينية لازمت الانسانية منذ نشأتها الأولي. بحيث لا يوجد مجتمع من المجتمعات إلا وقام هيكلة الاجتماعي علي أساس ديني.: حيث ان المجتمعات البشرية اعتقدت ان هناك قوي عليا تهيمن علي العالم الدنيوي، وان خوف الانسان من هذه القوي العليا جعله يتقدم بالقرابين والعطايا لإرضائها حتي يعيش

فـي سـلام معهـا. ومـن هنـا يتضـح ان الخـوف مـن اهـم الاسـباب لاتجـاه الانسان نحو الدين.

٢) الوظيفة الاجتماعية للدين كواقع اجتماعي يمارسه الأفراد والجماعات في المجتمعـات: ان الـدين يـؤدي وظـائف اجتماعيـة هامـة للفـرد والجماعـة والمجتمـع. فهـو يحقـق للفـرد إشـباعات نفسـية؛ حيـث يحقـق لـه الاسـتقرار النفسي ومن ثم تحقيق الذات وتأكيدها، والسمو النفسي والاجتماعي والرضا النفسي والاجتماعي ، والهدوء النفسي والاطمئنان النفسي والاجتماعي، كما انـه يحقـق نوعـا مـن الاسـتقرار والتضـامن الاجتمـاعي ويخلـق نسـقاً قيميـاً يتمسك به أفراد هذا الدين.

٣) دور الدين واهميته في التغيير الاجتماعي: ان الدين يلعب دورا هاماً في مجال التغيير الاجتماعي Social Change حيث يقع علي الدين ورجالة دوراً هامـاً فـي المسـاهمة فـي إحـداث التغييـر الاجتمـاعي. ويعتبـر الـدين سـلاحاً فـي إحـداث التغييـر الاجتمـاعي المنشـود ذلـك لأن الأفـراد يؤمنـون كثيراً بأهمية الدين ودوره في علاج العديد من المشكلات الاجتماعية التي تجابه حياتهم ومجتمعاتهم.

٤) دور الدين وأهميته في التغلب علي المظاهر الباثولوجية في المجتمع: يعد الدين من الاسلحة الناجحة والفعالة في علاج هذه المظاهر المرضية التي يعـاني منهـا المجتمـع. ويلعـب الـدين دوراً مـؤثراً فـي التغلـب المظـاهر الباثولوجية في المجتمع.

٥) دور الدين في التنمية الاجتماعية والاقتصادية: حيث يسهم الدين في حل العديد من المشكلات الاجتماعية حيث له دور رئيسي وفعال في التغلب علي الصعاب التي تعوق تطور وتنمية هذه المجتمعات من خلال احداث الترابط والتكامل بين القيم الدينية من جهة والتنمية الاجتماعي والاقتصادية من جهة آخري.

٦) دور الدين في مواجهة الحركات الالحادية في المجتمعات: من خلال توضيح الصورة الصحيحة للأديان وإبراز قيمة الاديان وأهميتها في حياة الفرد والمجتمع وايضاح صورة الإلحاد المختلفة التي تدخر في البنيان الاجتماعي للمجتمع وضعف الوازع الديني لدي أفراد المجتمع وتزويد الأفراد بالقيم الدينية وتبصيرهم بحقائق الدين الصحيح.

ثالثاً: وظائف الدين المجتمعية

تعد الصلة وثيقة بين الدين والمجتمع تتطلب الإحاطة بجوانب الدين الاجتماعية ووظائفه المجتمعية، وتعد مثل هذه الإحاطة من الأمور الأساسية لفهم الدين لأن الجانب الأكبر منه جانب اجتماعي. وأن العقائد والممارسات والشعائر الدينية كلها لها آثارها الاجتماعية التي يمكن أن تلقي الضوء علي الوظائف المجتمعية للدين:-

هناك وظائف عديدة يؤديها يمكن إيجاز بعضها فيما يلي:

١. التأكيد علي قيمة وأهمية غايات الجماعة وتفضيلها علي الرغبات الفردية . ذلك أن الدين بطبيعته المشتملة علي الإيمان يقدم شرحا لإعلاء غايات الجماعة وأهدافها فوق غايات الفرد.

٢. يقدم الدين وظيفة هامة للأفراد فعن طريق أداء وممارسة الطقوس والشعائر الجماعية فإن الدين يقدم الوسيلة التي بها تتجدد باستمرار المشاعر العامة المألوفة للجماعة.

٣. يزود الدين الجماعة عن طريق أغراضه المقدسة بمرجع واضح ودليل ثابت للقيم التي يلتف حولها الأفراد داخل المجتمع

٤. يزود الدين الجماعة بمصدر دائم لا ينضب من الثواب علي عمل الخير ومن العقاب علي عمل الشر.

٥. يؤدي الدين دوراً اجتماعياً هاماً في التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع، حيث أن أداء الشعائر والمناسك المرتبطة بالدين والتكافل الاجتماعي تؤدي إلي توثيق الروابط بين أفراد المجتمع لذلك أصبح الدين يساهم مساهمة ضرورية في تكامل المجتمع .

رابعاً: نظرية دور كايم للدين

يرجع الخط الفكري الاساسي لدراسة دور كايم للدين إلي كل من دي جولاج De Caulage وسميث Smith . فالأول أرجع النواحي السياسية والبناء الكلي للمجتمع إلي المعتقدات الدينية التي تحدد التنظيم الاجتماعي.

ويري سميث أن الدين البدائي هو كيان اجتماعي. فالأفراد لا يختارون مجموعة معتقدات لتفسير الأشياء. ولكن يولدون في مواقف اجتماعية حيث الافعال الدينية الموجودة والمتوارثة ففي المجتمع القبلي لا توجد علاقة خاصة فردية بين الآلهه . ولكن الأفعال الشائعة المقدسة تربط الأفراد بعضهم ببعض في الجماعة مع الإله أو الآلهه التي يقدسها المجتمع ككل.

ويري دور كايم أن الضبط الاجتماعي. والوجود الاجتماعي ذاته يرتكز علي مفهوم الشعور الجمعي. وان المنطق يخلق ويقوي في كل مجتمع بواسطة الدين وفي العمل الذي اشترك به مع موس Mauss عن التصنيف البدائي، واوضح دور كايم أن الدين يمدنا بالفهم وبدونه لا نستطيع أن نفكر .

وتتركز معالجة دور كايم للدين في ثلاث جوانب أساسية هي:-

١. الأساس الاجتماعي للدين:

قدم دور كايم تفسيراً اجتماعياً خالدا عن طبيعة الدين، ولذلك بدأ بنقد النظريات الفردية والسيكولوجية التي تحاول أن تفسر ظهور المعتقدات الدينية عن طريق العوامل البيولوجية كالأحلام والرؤيا . وكذلك نقد النظرية الطبيعية عند ماكس مولر التي تذهب

إلي ان الدين يرجع الي العوامل الطبيعية والكونية. ويري دور كايم أن هذه النظريات فشلت في تقديم تفسير للدين والتفرقة بين ما هو مقدس وما هو دنيوي.

ونظر دور كايم إلي الافكار والممارسات الدينية علي أنها تشير وترمز إلي الجماعة الاجتماعية . كما اعتبر المجتمع المنبع الأصلي للدين. ولذلك عرف الدين بأنه:" نسق موحد من المعتقدات والممارسات التي تتصل بشيء مقدس وهذه المعتقدات والممارسات في مجتمع أخلاقي واحد ويضم كل الذين يرتبطون به.

ويري دور كايم أن روح الدين في كل المجتمعات ترجع إلي التميز الصارم بين ما هو مقدس وما هو علماني. ويشير المقدس– كما يري دور كايم– الي أي شيء عرف اجتماعيا علي أنه يتطلب معالجة دينية خالصة ويتكون المقدس كذألك من التصورات الجمعية التي تعبر عن الحقائق الجمعية. والاشياء المقدسة لا يمكن أن تتخذ صورة قاطعة في كل زمان ومكان ذلك لأنها تختلف طبقاً لاختلاف الديانات. ويؤكد دور كايم علي أن الأشياء المقدسة هي الدينية في مظهرها والاجتماعية في مصدرها.

فالدين يضم مجموعة من المعتقدات والممارسات في نسق شامل يحقق القداسة للأشياء المحرمة، وهذه المعتقدات توجد بين الأفراد وتخلق مجتمعاً أخلاقياً. أي الاسهام الجمعي في المعتقدات يعتبر شرطاً أساسياً لوجود الدين. كما أوضح دور كايم أن الطبيعة الملزمة للمعتقدات والممارسات الدينية. وقوة الدين وارتباطه بأشكال الفكر الأساسية يرجع إلي أصلة المرتبط بالمجتمع.

٢. الصورة الاولي للدين:

حاول دور كايم أن يوضح لنا الصورة الاولي للدين وكانت نتائجه مرتكزة علي مادته التي جمعها عن الديانة التوتمية في استراليا. وقد اسند إلي المعالجة التطورية وهي: إذا كان مجتمع أرونتا هو ابسط المجتمعات التي عرفت حينئذ. فإذن الديانات التوتمية هي أبسط وأقدم الديانات وهي تحوي أغلب السمات الاساسية لكل الديانات . ومن هنا يعتقد أفراد العشيرة أنهم منحدرون من هذا التوتم (الرمز الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها) فهو الاصل في وجودهم ومن هنا يعتبرون أنفسهم أقارب فيما بينهم. وذلك يعني أن القرابة لا تقوم علي أساس اشتراكهم في نفس العادات والتقاليد والطقوس الدينية التي يلتزمون بأدائها نحو التوتم. وتقوم الديانة التوتمية علي أساس تقديس توتم العشيرة تقديساً يحرم لمسه(جمادا)، او قتلة وصيدة (حيواناً)، او أكلة (نباتاً).

والتوتمية: ما هي الا عبادة العشيرة لرمزها الجماعي الذي تعتقد أنه يحوي ذلك المبدأ المقدس. فآلة العشيرة أو الاله التوتمي لا يمكن أن يكون سوي العشيرة نفسها. ومن هنا يري دور كايم أن أول ديانة إنسانية هي عبادة المجتمع لنفسة. وأن الله والجماعة شيء واحد. ويؤكد دور كايم أن حياة الجماعة هي المصدر المنشئ للدين وأن الأفكار والممارسات الدينية إنما تشير وترمز إلي الجماعة الاجتماعية فالرموز الدينية لا يمكن أن تشير إلي البيئة الطبيعية أو الطبيعة الانسانية. ولكنها تشير إلي الواقع الاجتماعي.

٣. الوظيفة الاجتماعية للدين

حدد دور كايم الدين بناء علي وظائفه، وكان تركيزه منصباً علي الشعائر والأفعال أكثر من المعتقدات. ويري دور كايم أن وظيفة الدين هي ربط الأفراد بمجتمعهم بقوة عن طريق : الفهمComprehend اي فهم الواقع والعلاقات الاجتماعية، والاتصال Communicate بمعني اتصال الأفراد بعضهم ببعض علي أساس من المفاهيم المشتركة ، والتحديد Specify اي تنظم الأفكار والعلاقات الاجتماعية ، عن طريق هذه الاشياء يتقبل الأفراد الدين علي أنه شيء ملزم ومطلق وأشار دور كايم إلي أن مجموعة العبادات تربط الأفراد بعضهم ببعض وتخرجهم من أنفسهم ومن هذه الرابطة يستمد الأفراد ثقتهم وقوتهم

خاتمة

أهتم الانسان بفكرة الدين وأخذ هذا الدين يتطور ويسلك فيه الإنسان طرائق متعددة، وأصبح الدين يتمثل في حياة الانسان في أربعة أوجه هي: الطقوس ، والعاطفة ، والادمان والادراك العقلي.

ونجد أن العقائد والممارسات والشعائر الدينية كلها لها آثارها الاجتماعية التي يمكن أن تلقي الاضواء علي **الوظائف المجتمعية للدين:-**

- يقوم الدين بدور هام في التمسك المجتمعي والتآلف بين الأفراد والوحدات المكونة للمجتمع عن طريق ضم شملهم وتوحيد كلمتهم في النظرة إلي الكون وفي مجال القيم والمعاني والاهداف الدينية وفي تنسيق ادوارهم وتفاعلاتهم، كما يدعو إلي التعاون والتراحم فيما بينهم.

- يعمل الدين علي الضبط علس سلوك الأفراد وحملهم علي الانسجام مع المصطلحات والقيم السلوكية المرغبة، فعن طريق المعتقدات والعبادات وقواعد المعاملات تقرن قيم الجماعة وأهدافها بالمعبود الذي ندين له

- قيام الدين بتفسير بعض الأمو وتوضيح بعض المشكلات والمسائل التي تفوق علم الإنسان كمسألة الخلق والموت بالإجابة علي أسئلة تدخل إلي القلب وتستقر في الذهن

- تتعرض الجماعات والافراد لكوارث ونكبات وتصادف ضروباً من الحرمان وصنوفاً من المعاناة ويقوم الدين بدور هام في تسكين النفوس ومدها بالسلوي والرضا بما هو واقع.

- يعد الدين حصن الأمان الذي يشعر الناس في رحابة بالأمن والاستقرار العاطفي وبالاطمئنان الذي لا توافره لهم علاقاتهم الانسانية

- يعد الدين عامل أساسي في الحفاظ علي المجتمع وأوضاعه ومقدساته.

- يعد الدين من عوامل التنظيم المجتمعي الفعال ومن أساليبه التوجيه الجماعي لنشاط الأفراد وتنظيم العلاقات الاسرية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

تدريبات عملية

اجب عن الاسئلة الآتية:-

- **وضح علم اجتماع الدين- علم الاجتماع الديني؟**
- **اذكر أهمية دراسة الدين؟**
- **ما هي وظائف الدين المجتمعية؟**
- **تكلم بإيضاح عن نظرية دور كايم للدين من حيث-**
  - **الأساس الاجتماعي للدين:**
  - **الصورة الاولي للدين:**
  - **الوظيفة الاجتماعية للدين:**

الفصل الثالث

مدخل الي علم الاجتماع الاسلامي

Islamic Sociology

تمهيد:

إن التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يمر بها العالم والمجتمع في الوقت الحاضر، أصبحت تفرض على النسق التعليمي التربوي مسؤوليات مضاعفة تتجاوز حدود التعليم في نمطيته التقليدية، وتفرض على هذا النسق أيضاً؛ الاضطلاع بدور أكثر أهمية في غرس وتجذير الوطنية في نفوس وعقول الناشئة، وكذلك المعايير والقيم التي تحافظ على أمن واستقرار المجتمع. إن النسق التربوي في الوقت الحاضر أصبح يعاني الكثير من الإشكاليات الأمر الذي يتطلب وقفة جادة لوضع استراتيجيات علمية جديدة تهدف إلى النهوض بقضية التربية والتعليم.

وتبيان خاصية التنبؤ، فمن خلال الكشف عن العلاقات والارتباطات بين الظواهر أي الكشف عن السنن الإلهية التي تحكم تلك الظواهر وتحدد مسارها في مختلف المجتمعات. هنا يمكن التوقع بما ستؤول إليه الظواهر في المستقبل، والتحكم فيها من أجل صالح الإنسان. وعلم الاجتماع الإسلامي تكمن أهميتهفي، إحياء الفكر الإسلامي في حدود القواعد الإسلامية وإزالة الجمود الفكري والأفكار الدخيلة التي تعبث بقيم الإسلام الرصينة، وحالت دون تقدم المسلمين كالبدع والخرافات والأحاديث الموضوعة والتطرف وغير ذلك.

وبصورة عامة نهدف من وراء هذا العمل الوصول إلى الغايات الأتية:

١- تبيان التقارب بين الإسلام كمنهج، وبين علم الاجتماع كطريقة علمية من أجل صياغة لعلم الاجتماع الإسلامي.

٢- طرح قضايا مجتمعاتنا من المنظور الإسلامي الوسطي الصحيح.

٣- يهدف لدراسة الواقع الاجتماعي تمهيداً لتغييره، وذلك من خلال الرؤى التحليلية لجميع الظواهر الاجتماعية، بهدف تغييرها باتجاه الأفضل.

٤- خاصية المقارنة، فعلم الاجتماع الإسلامي يعقد المقارنات أثناء التحليل الاجتماعي، سواء داخل المجتمع المسلم أو بينه وبين المجتمعات الأخرى، فالمقارنة منهج يتبع الوصف ويسبق التفسير. وتوضح المقارنة حين يعقدها الباحث المسلم أصالة القيم والمبادئ الإسلامية.

اولاً:- مفهوم علم الاجتماع الإسلامي: (Islamic Sociology)

عرف الإسلام منذ أن خلق آدم عليه السلام، حيث جميع الأنبياء الذين أنزلهم الله سبحانه وتعالى أتوا إلى الدعوة إلى الإسلام، فالإسلام لم يوجد فقط في القرن السابع الميلادي، بل عرف منذ أن خلقت البشرية، ولكن وضعت أسسه وأركانه في عهد النبي محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد وضع الله عز وجلمن خلال الدين الإسلامي، الأسس والأحكام لإقامة الحياة المستقرة لأنه دين من عند الله صيغت أحكامه وقيمه للتوافق مع العقل البشري ومع منظومة الحياة بكل متغيراتها.

وهنا نرى أن العمل الحالي يساهم في طرح الإسلام كمفهوم يعني مايأتي:

١- أن يسلم كل مخلوق وجهه لله سبحانه وتعالى.

٢- أنه ليس بالدين الحديث في تاريخ البشرية.

٣- كما أنه ليس ديناً خاصاً بطائفة من الناس أو أمة من الأمم.

٤- أنه ليس قاصراً على زمان بعينه أو بيئة محددة.

٥- أنه يشمل الإنس والجن معاً وصدق الله العظيم: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.(الجن: الآية: ٥١ / ٥٦)

٦- وأخيراً، الدين الإسلامي هو الدستور الإلهي والأخير للإنسانية، جاءت نصوصه بشكل جاد ودقيق وعادل لتصبح العقد الفريد المنظم لكل ما يحدث ويتغير من ظواهر في السموات والأرض.

هناك تعريف معاصر للعلم السوسيولوجي له علاقة بالطرح النظري لهذا العمل يقول: إن علم الاجتماع ينفرد بين سائر العلوم الاجتماعية جميعاً بأنه أكثرها اهتماماً بالدراسة الدقيقة المتعمقة للتغير والصراع في المجتمع الكبير. ولا جدال أن هذا ما يجعله أكثر العلوم الاجتماعية إثارة.

ووفقاً لذلك يستأثر علم الاجتماع باهتمام القادة والمصلحين والمخططين؛ نظراً لأهميته المتزايدة في جمع وتصنيف وتنظير الحقائق، والبيانات عن المواقع الاجتماعية والحضارية، وفي المجتمعات الإسلامية بشكل عام، تلعب العقيدة الإسلامية دوراً هاماً في البناء الاجتماعي، وعلماء ومفكري الإسلام يتوجب عليهم اليوم إعادة النظر في أسس هذا العلم السوسيولوجي من منظور إسلامي، ومن منطلقات فكرية تنسجم مع عقيدة الإسلام النقية بعيداً عن التطرف والمغالاة.

حظي علم الاجتماع الإسلامي، بجهود مؤسسية وجهود فردية من الباحثين، وقد ظل موضوعاً حيوياً في كثير من دراسات وأبحاث علماء الاجتماع سواء أكان مجالات بحثية، أو توصية للعديد من الدراسات والبحوث في قضايا ومشكلات علم الاجتماع المختلفة. وقد عرف البعض علم الاجتماع الإسلامي بأنه: تلك المعرفة القائمة على الدارسة المنهجية الرامية إلى اكتشاف السنن الإلهية المتعلقة بالظواهر المجتمعية من منظور إسلامي.

هذه المعرفة الرامية إلى اكتشاف السنن الإلهية المتعلقة بالظواهر المجتمعية، كان هناك ما يدعو لها، وكما كانت هناك إشكاليات اجتماعية هزت العالم الغربي، من الثورة الفرنسية وعصر للتنوير وثورات صناعية وغيرها من العوامل التي ولدت العديد

من القضايا الاجتماعية وساهمت في ولادة علم الاجتماع في مهده الفرنسي، لضرورة إيجاد علم يدرس تلك الظواهر الاجتماعية ويعمل على حل ما يعتريها من إشكاليات. كذلك هناك العديد من العوامل والظروف التي تدفع في اتجاه التأصيل لعلم اجتماع من منظور إسلامي. تلك قضية نرى أنها ضرورية، وأن نؤسس علماً جديداً نستفيد مما هو قائم من تراث ديني وسطي في فهم واقعنا المجتمعي العربي المسلم بشكل عام، وواقعنا بشكل أكثر خصوصية بهدف قراءته بشكل موضوعي، وهذا بدوره يساهم في وضع الأطر العامة لتحصينه ضد تيارات التطرف والإرهاب والتعصب والفساد وغيرها. كما نهدف من وراء ذلك إلى غرس قيم العلم والمواطنة والقدوة الحسنة والتنافس والتفوق والإبداع وغيرها. ومرد ذلك أن علم الاجتماع له رؤى يمكن استثمارها في تحقيق تلك الأهداف المنشودة.

وتأسيساً على ذلك أطلقت دعوات إلى قيام علم اجتماع إسلامي، لسد الفراغ في كتابات علم الاجتماع حول المجتمعات الإسلامية لأن الدراسة المنظمة للإسلام حقل مهمل في علم الاجتماع، فلا تكاد تكون هناك دراسة اجتماعية دقيقة للإسلام والمجتمعات الإسلامية. وهذا ما يدعونا للتساؤل وطرح قضية هذا العلم الوليد للبحث والنقاش بين المهتمين والمتخصصين.

ثانياً: العلاقة بين الدين وعلم الاجتماع

ليس صحيحاً ما يشاع عن انفصال الدين عن العلم، ذلك أن قراءة العلاقة بين أنساق الدين والعلم يؤكد أن ثمة علاقة قائمة، ظاهرة أحياناً وكامنة في أحيان كثيرة. وذلك يرجع إلى أن غالبية الأديان تطرح كثيراً من الأفكار العلمية، وتأكيداً لذلك فإننا نجد أن غالبية الأديان السماوية كان لها مصادرها الثرية التي كانت ومازالت تشكل

منطلقاً ومصدراً لكثير من القضايا التي لعبت دوراً محورياً في تاريخ المجتمعات، وهي اليوم تصلح لأن تكون منطلقاً تحليلياً وتفسيرياً لأطر البناء الاجتماعي المختلفة.

في العقود الأخيرة أظهر الغرب اهتمامه بعلم اجتماع الدين رغم وجود المجتمع العلماني لديه، لكنه أدرك أهمية دراسة الدين كمكون وأساس لكثير من المجتمعات. والذي يريد أن يتعامل مع المجتمع ويصنع فيه أثراً ينبغي له دراسة الدين، والأثر سيكون أكثر فاعلية عند الاستفادة من علم الاجتماع. ومثال على ذلك أننا إذا تأملنا تأثير الديانة اليهودية على النظرية الاجتماعية، فسوف نجد نظرية النقد الاجتماعي التي انطلقت من مدرسة فرانكفورت وحملت بصمات الديانة اليهودية، ولذلك أن أغلب منظريها من اليهود ابتداء من هوركايمر، وأدورنو، وماركيوز وحتى هابرماس الذين تغلفت أفكارهم بنغمة الحزن اليهودي في الشتات. إضافة إلى أن خبرة الهولوكوست كانت دائماً حاضرة في التفكير الاجتماعي للمفكرين اليهود، حتى كان أكبر مشروع علمي للمدرسة الذي اتخذ عنوان:" الشخصية التسلطية " كان الهدف منها واضحاً وهو منع ظهور فاشي جديد.

ويتحدد المثال الثاني بتأثير الديانة المسيحية على النظرية الاجتماعية، وبغض النظر عن الكتابات الكثيرة التي قدمها المفكرون الغربيون والتي تؤكد تأثير الديانة المسيحية على النظرية الاجتماعية، وكذلك الكتابات التي رأت أنه لكي يتطور العلم والنظرية فإنه من الضروري أن يؤسس قطيعة مع الدين، وبخاصة الديانة المسيحية، وهو ما يشكل جوهر الدعوة العلمانية. بيد أن الأمر الأكثر وضوحاً يتضح من إسهامات عالم الاجتماع ماكس فيبر النظرية والتي ذهبت إلى البرهنة حول محورية المتغير الديني، وبخاصة القيم البروتستنتية التي لعبت دوراً أساسياً في نشأة النظام الرأسمالي المعاصر، بحيث نجد أن بنية نظريته في تطور الرأسمالية المعاصرة تتمحور حول هذه المقولة.

يضاف إلى ذلك تأكيد تالكوت بارسونز (عالم الاجتماع الأمريكي) على نسق القيم الدينية الذي يشكل قاعدة الثقافة التي تشكل بدورها النسق الضابط والمتوازن لإيقاع التفاعل الاجتماعي(Social interaction) الحادث في المجتمع والمنظم له، وهو التفاعل الذي يتبلور ليشكلما يسمى بالظواهر الاجتماعية(Social phenomena)، والأخرى النظم الاجتماعية(Social systems).

وفي دراسة حديثة آجراها عالم الاجتماع الأمريكي ألفن جولدنر على عينة كبيرة من علماء الاجتماع الأمريكيين اكتشف أن ثمة علاقة قائمة بين عمق العواطف والمعتقدات والموروثات الدينية للباحثين والعلماء، وبين ميلهم لتبني الاتجاه النظري البنائي الوظيفي في دراساتهم وبحوثهم الواقعية.

ومن بين الأديان السماوية يقفز الدين الإسلامي الحنيف، بموضوعية فوق كل التصورات والرؤى والأفكار ليقدم نموذجاً رصيناً للمجتمع البشري بكل متغيراته وأطره المتنوعة. ومن أهم رواد هذا الطرح عبدالرحمن بن خلدون الذي تمسك بالمنظور الإسلامي والمنهجية العلمية في تعاطيه لموضوع " العمران البشري"، وليس المنظور المادي بهذا الإسقاط غير العلمي، الذي يجهد أصحاب التفسير العلماني أنفسهم لفرضه قسراً على فكر ابن خلدون.

وفي هذا الصدد، فالمنهج الإسلامي يمتاز عن غيره بالرؤى الشاملة في النظرة للإنسان والمجتمع. وما يؤكد هذا الطرح تلك الكتابات والمعالجات الواقعية في مجال العلوم الإنسانية والفكرية، حيث كان للمسلمين دور بارز ورائد؛ حيث ابتكروا علوماً راقية تهم الجانب الاجتماعي الإنساني، وكذلك ابتكروا علوماً مهمة خاصة بالشريعة الإسلامية، وأخرى خاصة باللغة العربية ومن أهم هؤلاء: ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والذهبي، وابن حزم، والغزالي وغيرهم، فيها كم هائل من نظريات علمية اجتماعية

لو وجدت من يهتم بها، ويجمعها، ويدرسها، ويميزها، انطلاقًا من القرآن الكريم، والسنة والسيرة النبوية.

إن قضية الاجتماع الإنساني لم تصبح موضوعاً للدراسة العلمية إلا في فترة لاحقة، وكان أَول منبَه إلى وجود هذا العلم، واستقلال موضوعه، ووضع أسسه، هو العلامة العربي عبدالرحمن ابن خلدون(هذا يعد القاعدة لعلم الاجتماع الإسلامي)،وهذا ما أكده قول عالم الاجتماع النمساوي جمبلوفتش: لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل كونت، بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي أوروبي، جاء مسلم تقي، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة، وإن ما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع.

يمثل ابن خلدون نقطة تحول في كتابة التاريخ الإنساني، وفي تأسيسه لعلم الاجتماع، والحقيقة الظاهرة أن أحداً قبله لم يعرض لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة تحليلية أَدت إلى نتائج مثل تلك التي أَدت إليها دراسة ابن خلدون، ذلك أنه درس الظواهر الاجتماعية من خلال الإخبار التاريخي السليم، والقارئ الجيد للمنظور الخلدوني يكتشف أنه كان يلح على أن ينتقل علم التاريخ وعلم الاجتماع من مرحلة الوصف إلى مرحلة التحليل، ومن الظاهر إلى الباطن؛ من أجل اكتشاف سنن الله الاجتماعية، التي تتحرك بها الوقائع في بنائها الكلي وإطارها الحضاري، وصولاً إلى التفاعل المجتمعي الإيجابي والشرعي مع هذه السنن التي يتأكد في دقتها وإبداعها أقوى الأدلة على عظمة الخالق المبدع، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

والجدير بالذكر أن علماء الاجتماع المنصفين يعتبرون النظرية الاجتماعية الخلدونية – بما انطوت عليه من عناصر تجديدية – هي نتيجة بارزة، ومعلماً واضحاً في مسيرة الفكر الاجتماعي الإسلامي، وهؤلاء العلماء يبدون استياءهم من أن النص

القرآني قد فسر وشرح من وجهة نظر لغوية وبلاغية وفقهية، ولم يأخذ حقه من الدراسة باعتباره كتاباً لتربية المسلمين، وتكوين عقائدهم، وأخلاقهم، وشريعتهم، وتوجيه سلوكهم؛ وهو الأمر الذي يستثنى منه ابن خلدون.

ثالثاً: ضرورة قيام علم الاجتماع الاسلامي

إن الدعوة إلى الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، تعني أن هناك خللاً، وإشكالية تبحث عن حل، وللوهلة الأولى نؤكد أن لهذه الإشكالية علاقة بالأزمة التي يمر بها المجتمع من ناحية، وعلم الاجتماع من ناحية أخرى، وهذا يعني أن الدعوة إلى تأسيس علم الاجتماع الإسلامي، ما زالت بحاجة إلى تأصيل، وبحث جدي، يتكفل، فعلاً، بتحقيق هذا الهدف على أسس إسلامية وعلمية ثابتة.

علم الاجتماع من أهم العلوم الاجتماعية التي يجب أن تحظى بأسبقية وعناية الباحثين والمفكرين، لما له من رؤى تحليلية يمكن استثمارها لأغراض عديدة يأتي في مقدمتها ضرورة وجود علم اجتماع إسلامي، والباحث المتتبع للبناء النظري والمنهجي لمختلف قضايا علم الاجتماع، لا يجد الأثر العلمي الواضح للحضارة العربية والإسلامية في بناء ذلك العلم، رغم الدور الكبير للحضارة الإسلامية في نشأته ممثلة بابن خلدون وبعض الفلاسفة الآخرين كالفارابي وابن رشد وغيرهم. ولوحظ غياب كبير لجهود أخرى ترقى لمصاف تأسيس فروع ونماذج نظرية، أو التأثير في علم الاجتماع كعلم إنساني.

ظل تلك الظروف الأكاديمية لعلم الاجتماع، وجدنا العديد من القضايا التي فرضت قسراً على منهجية الفكر العربي، وتحتاج إلى جهد أكاديمي بحثي لكي نتمكن من رصد ومراجعة تلك القضايا والظروف الحضارية والثقافية للواقع الغربي العام. ومن

أهم تلك القضايا المغتربة عن واقعنا الثقافي والحضاري والديني، الدعوة إلى الحريات العامة والشخصية غير المنضبطة، وفصل الدين عن الدولة، والدعوة إلى تحرير المرأة من العادات والتقاليد، التي تحد من حريتها حسب الزعم الغربي، وعلى رأسها الحجاب، والعمل، وقضايا الديمقراطية بمقاييس أيديولوجية غربية، بالإضافة إلى قضايا التخلف والتنمية وأخيراً قضية الإرهاب العربي والإسلامي...إلخ

وتأسيساً على ما تقدم، نستطيع رصد جملة العوامل التي تقف وراء دواعي وضرورة قيام علم الاجتماع إسلامي، جاء في مقدمتها:

١- أن البناء النظري والمنهجي لعلم الاجتماع الحالي، لا يوجد به الأثر العلمي الواضح للحضارة الإسلامية في بناء ذلك العلم، رغم الدور الكبير لهذه الحضارة في نشأته ممثلة بابن خلدون وبعض الفلاسفة الآخرين كالفارابي وابن رشد وغيرهم.

٢- التصورات الغربية العلمانية غير المنضبطة الموجهة للعلوم الاجتماعية والإنسانية ومنها علم الاجتماع الوافد إلى مجتمعاتنا الإسلامية.

٣- إن العلوم الاجتماعية والإنسانية صبت اهتمامها على الجزء المنظور من الواقع، ولم تعترف بالجزء الغيبي منه، لذلك فإنها لا تعبر عن الحقيقة كاملة.

٤- النظريات والقضايا التي وجهت العلوم الاجتماعية والإنسانية، هي قضايا تخص جزء من العالم يسمى الغرب، ومن الخطأ تعميمها على بقية أنحاء العالم.

٥- علم الاجتماع في العالم الإسلامي، يسير على خطى علم الاجتماع الغربي نظرياً ومنهجياً، بل في أحيان كثيرة اللغة الغربية، هي ما يجيده علماء الاجتماع في العالم الإسلامي، ويعتبر هذا الوضع أمراً طبيعياً في مناخ تسوده التبعية المطلقة للغرب.

٦- ومن دواعي اهتمامنا بعلم الاجتماع الإسلامي، دراسته ودعمه لقضايا تتأسس وتنطلق من أصول وقواعد الإسلام، الذي يدعو إلى تجاوز التكتلات والاختلافات الأيديولوجية ويحذر من عواقبها، وفي ظل المدارس والنظريات الاجتماعية التي تطرح قضايا وأيديولوجيات متصارعة ومتحيزة، نجد أن القضايا التي يؤسس لها علم الاجتماع الإسلامي تهدف إلى بناء وحدة المجتمع الإنساني من خلال وحدة العقيدة والحوار البناء الهادف إلى تحقيق المزيد من التفاهم كما تؤكد ذلك هذه الآيات الكريمة: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.(سورة النحل: الآية: ١٢٥)

رابعاً : اساسيات نشأة علم الاجتماع الاسلامي

الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع تعني أن يكيف علم الاجتماع منهجيته ورؤاه في ظل المبادئ الإسلامية الرصينة والصريحة التالية:[١١]

١- إن الله سبحانه هو الخالق لهذا الكون بكل ما فيه. وهذا يعني أن الطبيعة لم تخلق نفسها ولم توجد نفسها بل الله عز وجل هو خالقها وموجدها وهي تسير وفق سنن مطردة ووفق نظام مترابط الأجزاء ومن خلقها هو المقدر لهذه السنن وهذا النظام.

٢- الإيمان بالغيب، حيث ينقسم العالم إلى قسمين يمكن التمييز بينهما ولكن لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر هما:

أ- عالم الغيب وعالم الشهادة، يتصل عالم الغيب بذات الله جل وعلا وصفاته والحياة الآخرة والملائكة والجن والروح.

ب- يتصل عالم الشهادة بكل ما في الكون من أشياء وأحداث وظواهر وعلاقات تشكل نظام الكون المادي، والعقل أداة للوصول إلى حقائق الطبيعة وهو معرض مع ذلك للخطأ والوحي أداة معرفة عالم الغيب (ما وراء الطبيعة).

٣-الإيمان بأن الله عز وجل هو المشرع للإنسان فهو من وضع للطبيعة سننها، وهو أيضاً من وضع للإنسان عن طريق الوحي المقاييس العامة والدقيقة للخير والشر وحدد معالم الأخلاق والحقوق الثابتة.

٤-كما تهدف الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع إلى الإقرار بأن الله اصطفى من خلقه من البشر من يبلغ شرعه وقد تم بعث الكثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للبلاغ والهداية إلى الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه وبه تتحقق سعادة البشرية.

٥- الإيمان بأن الإسلام هو خاتمة الرسالات وهو رسالة عالمية موجهة إلى كافة البشر، كما أنه رسالة تامة ومكتملة وصالحة لكل زمان ومكان.

خامساً:- الأهداف العامة لعلم الاجتماع الإسلامي.

يمكن تلخيص أهم أهداف علم الاجتماع الإسلامي فيما يأتي:

١- صياغة علم الاجتماع نفسه في ظل مبدأ الإيمان بالله تعالى، وقياس مدى اقتراب المجتمعات الإسلامية أو بعدها عن الإسلام.

٢- علم الاجتماع في صورته الإسلامية ليس علماً اجتماعياً غربياً مكرراً، ولكنه يهدف إلى تقديم رؤى مغايرة للتصورات والنظريات الغربية حول المجتمع.

٣- الهدف الأصيل لعلم الاجتماع الإسلامي، أنهلا يهتم بمصالح دولة أو طبقة أو حزب أو قبيلة، لأن العنصر الفاعل والمبتغى هو التوحيد والوحدة، مع إبراز

عوامل النهضة والعدل، ونبذ كل أشكال التحيز والتطرف والإرهاب طبقاً للمبادئ الإسلامية.

٤- إظهار ما في التراث الإسلامي من سنن الاجتماع وقواعد العمران والمبادئ والظواهر، ووضع الخطط المستقبلية للمجتمعات الإسلامية في حدود مبادئ الإسلام.

٥- توضيح المنهج العلمي الإسلامي الذي يشرع لقواعد ونظم الاجتماع الإنساني، وتجلية دوره في إنشاء العديد من العلوم الحديثة.

٦- إحياء التراث الفكري الإسلامي، والتأكيد على الدور الفاعل للدين الإسلامي كأحد أدوات الضبط الاجتماعي الرئيسة في المجتمع.

٧- التصدي للقضايا المعاصرة، من خلال منهجية علمية إسلامية رصينة.

٨- أن يكون للطفل نصيب كبير من قضايا الوطن والأخلاق والعلم.

٩- تبني ودعم مشروع حضاري تربوي تعليمي مجتمعي يهدف لنشر ثقافة الحوار والاختلاف، وقبول الآخر، والمسئولية الاجتماعية، وتدعيم الوطنية، وتحصين الشباب من مظاهر الأمية والتسرب الدراسي والفراغ، والوقوف بقوة أمام أسباب ومظاهر الانحراف والتطرف والإرهاب.

١٠- أن الأهداف السامية للفلسفة الفكرية الإسلامية الأصيلة لا بد أن تكتشف في مصادرها الحقيقية النابعة من الأصول الإسلامية وتطور الفكر الإسلامي السليم لا في ما أنتجته الثقافات الدخيلة.

سادساً:- القضايا العامة لعلم الاجتماع الإسلامي.

عند تحديد أهم القضايا ومجالات وموضوعات الدراسة في علم الاجتماع الإسلامي مجاله، في هذه الحالة منوط به تحديد منهجيته وتوظيف إسهامات وأعمال المفكرين والفقهاء الإسلاميين في هذا الصدد. وأيضاً تحديد القضايا التي يمكن أن يتميز بها هذا العلم الإسلامي عن نظيره الغربي.

بداية تعد قضية البناء الاجتماعي من أهم محاور الدراسة في الوسط الأكاديمي السوسيولوجي. ومن هذا المنطلق ارتأينا إخضاع هذه القضية للمنظور الإسلامي كقاعدة تأسيسية لعلم الاجتماع الإسلامي، الذي يأخذ شكلاً واضحاً ورؤى إسلامية رصينة تميزه عن العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى من حيث موضوع الدراسة. والمنظور الإسلامي للبناء الاجتماعي يستند إلى قضايا أساسية نوجزها فيما يلي:

١- الله (عز وجل) وقضية الإنسان:

وحدانية الله عز وجل هي القضية الأساسية التي ينبغي أن تستند إليها نظريات ورؤى علم الاجتماع من منظور إسلامي. وذلك باعتبار أن الله عز وجل هو القوة الواحدة المدبرة لأمر الكون والمجتمع، والذي ينتقل تأثير فاعليته إلى الإنسان الذي أعده الله ليكون خليفته في الأرض، ثم إلى المجتمع الذي يعمل وفق تعاليمه التي وردت في القرآن الكريم باعتباره منبعاً للرؤى الفكرية للمسلم، ومن ثَم منبعاً لجميع المعارف والعلوم؛ قال تعالى: مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ. (الأنعام: الأية:٣٨) وهنا نجد القرآن الكريم يؤكد على أن القوانين الإلهية التي تحكم

الكون المادي والاجتماعي ثابتة وفعالة وتنطبق على كل الجماعات بغض النظر عن حجمها وقوتها ودورها الحاضر.

قدم الله تعالى الإنسان على كل مخلوقاته، وتجلى هذا التقدير في استخلاف الإنسان في الأرض والمجتمع. وفى ذلك يقول الله تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. (البقرة: الأية:٢٩،٣٠) وذلك يعني أن الله تعالى خلق الكون، واختار الإنسان خليفته له من أجل إدارته وإعماره.

يشير التصور الإسلامي إلى أن الله تعالى قد خلق الكون تعبيراً عن عظمته وقدرته، ولكي يصبح الكون جديراً بأن يكون شاهداً على هذه العظمة، فقد خلق فيه الإنسان ليعمره، ولذلك كرمة واستخلفه. ومن ثم فتعمير المجتمع هو تعبير عن طاعة الإنسان لله تعالى وتأكيد لاستحقاقه لهذه المهمة التي أوكلت إليه. وحتى يستطيع الإنسان عمران الأرض والمجتمع، فقد زوده في ذاته بما يساعد على إنجاز ذلك الاعتقاد بكامل العبودية، والعقل والفطرة، وكلها تدفع نحو الإيجابية لبناء العمران. كما سخر له كل ما في الأرض ليستعين بما يريد لإنجاز هذه المهمة. إذاً فالعمران هو جزء من عبادة الإنسان لله عز وجل كما يذهب التصور الإسلامي.

٢- قضية الفكر الاجتماعي الإسلامي:

مصطلح الفكر الإسلامي يعني كل ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى اليوم، في المعرفة الكونية المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً.

وأما في مجال الفكر المجتمعي، استطاع الفكر الإسلامي منطلقاً من مبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية أن يواجه أحداث الحياة المتغيرة، فيضع لها من الأنظمة التفصيلية والأحكام الاجتهادية الكثيرة والحلول الناجعة المبدعة التي أقامت الحياة الحضارية الإسلامية في تفاصيلها الدقيقة، فأنتجت بذلك مجتمعاً حضارياً ورقياً شاملاً في المجتمع الإسلامي.

كما توسع الإسلام ومفكريه في المعرفة الإنسانية، وحث أتباعه على البحث ومعرفة التاريخ والاستفادة من الأمم السابقة وأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت، لأن الحكمة هي ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها.

ومن هذا المبدأ انطلق المسلمون إلى الأخذ بأسباب الحضارة الإنسانية والاستفادة منها في بناء وتطوير مجتمعهم. غير أنهم بقدر ما استفادوا من العلوم والمعارف المفيدة التي نقلوها وطوروها وأنشأوا حضارتهم الزاهرة في ظلها، تضرروا من الثقافات الأجنبية، لأنها كانت في أصولها وثنية منحرفة في نظرتها إلى الوجود والحياة والإنسان. ولكن قوة الفكر الإسلامي بعقائده الفطرية القوية، وحكمة شريعته السمحة، كانت بمثابة الحصن ضد أي غزو ثقافي أو حضاري غير مدروس.

يوفر الدين للإنسان قاعدة فكرية مجتمعية ملهمة، توضح جملة العوامل التي تؤدي إلى الهدم وتعمل على تقويض المجتمع، كما وضح في الوقت نفسه جملة العوامل التي تعود بالتوازن والاستقرار على منظومة الواقع الاجتماعي.

٣- قضية النظام الاجتماعي الإسلامي:

من المسلمات المعروفة في علم الاجتماع أن المجتمع البشري لا بد أن يستند في تنظيمه وتسييره على نظرية حضارية، أو قاعدة حضارية مستخلصة من تاريخ الأمة وتطورها، نابعة من حاجاتها، متفقة مع أعرافها وخصائصها، مستفيدة من تجارب

الإنسانية كلها، كي توحد بين أبنائها، وتدفعهم إلى التفاهم المشترك والتعاون في بناء الحياة والعمران.

إن الدراسة الواعية للنظام الاجتماعي الإسلامي تجعلنا أمام حقيقة ساطعة وهي: أن المجتمع الإسلامي ليس مجتمعاً مغلقاً؛ بل هو مجتمع مفتوح، لا يقيم الإسلام فيه العلاقات الاجتماعية العامة على أساس التعصب العنصري، أو الطائفي أو الديني. وفي سبيل بناء المجتمع القوي الموحد، دعا الإسلام إلى تحقيق العدالة، وفرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر للمحافظة على توازن المجتمع، وإبعاده عن الانحراف، قال تعالى: وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ. (آل عمران: الأية: ١٠٤)

واعتنى النظام الاجتماعي الإسلامي أعظم العناية بتقوية الأسرة، وشرع لها نظاماً دقيقاً يبين فيه حقوق وواجبات أفرادها، وتنظيم معاملات النفقة، والزواج، والميراث، وتربية الأولاد، وبذر بذور المحبة والإيثار والرحمة بينهم، لأن في تقوية الأسرة وضبط سلوك أطرافها تقوية للمجتمع وضبطاً لحركته، ونشراً للقيم الإنسانية والاجتماعية الرفيعة بين أبنائه، حتى يبتعد عن الفوضى والتصادم، والتحلل الخُلُقي... كما يدعو الإسلام إلى تكافؤ الفرص للجميع، كي يتنافسوا تنافساً شريفاً. ومن المعلوم أن الإسلام لا يجعل هذا التنافس أو السعي قاصراً على المسلمين؛ وإنما يدعو الأفراد الذين ينتمون إلى مجتمعه، مسلمين وغير مسلمين، إلى الاشتراك في التنمية الاجتماعية، وبناء الحضارة الإنسانية، طالما أن الخليفة هو الإنسان، وليس المسلم فحسب.

والحقائق التاريخية شاهدة على أن المجتمع الإسلامي عبر التاريخ كان يتحلى بسمات إنسانية، بدليل أن العناصر الإسلامية وغير الإسلامية اشتركت في عملية البناء الاجتماعي، وكانت الفرص متكافئة أمامها جميعاً لإثبات وجودها وإظهار

مهاراتها في مجالات الحياة كلها... وهنا يقول " آدم متز": لم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال، وكان قدمهم راسخاً في الصناعات التي تدر أرباحاً وافرة، فكانوا صيارفة وتجاراً، وأصحاب ضياع وأطباء. إن أهل الذمة نظموا أنفسهم بحيث كان معظم الصيارفة في بلاد الشام من اليهود، على حين كان أكثر الأطباء والكتبة من النصارى.

إذا كان الإسلام يركز على العلاقة الإنسانية في دائرة التعارف الحيوي في الحاجات، فإنه يثير الجانب الحركي في هذه العلاقة، ليدعو المؤمنين والمؤمنات إلى التعاون على البر والتقوى، بحيث يتكامل الجميع في تحقيق هذين العنوانين الكبيرين في الواقع، اللذين يمثلان الخير كله في علاقة الإنسان بالإنسان، وفي المفاهيم الأصيلة في الإيمان والعدل والتكافل الاجتماعي، والمراقبة المنفتحة على الله عز وجل في دائرة السلوك الفردي والاجتماعي للإنسان على أساس الضوابط الروحية والعملية، وليبعدهم عن التعاون على الإثم والعدوان. ويمتد الفكر الإسلامي ليرى في العدل قيمة إنسانية، فيقرر أن قضية الدين هي قضية عدل، فلا دين بلا عدل، في جميع تطلعات الإنسان وقضاياه، حتى إن العدل لا يقف عند المسلم، بل يلتقي بالمسلم والكافر معاً، فلا يجوز للمسلم أن يظلم الكافر. وقد اقتضى وجود الفرد في محيط اجتماعي وجود صلات وعلاقات وارتباطات سواء صلات ودية أو عدائية، وبذلك فالمجتمع بحاجة إلى قانون ينظم هذه العلاقة بين الأفراد ويقضي على ما قد يكون من نزاعات وخصومات ويحكم بالعدل، وهذا ما سار عليه البشر في مسيرتهم التاريخية ولم يصلوا إلى قانون عادل غير سماوي حتى اليوم. وعندما جاء الإسلام أعطى المسلم تصوراً شاملاً عن الحياة وطبيعتها، والوجود ومكانة الإنسان منه، ونوعية النظام الذي يجب أن يحكم المجتمع البشري. وهي بمثابة العقد الفريد لمنظومة حياتية مجتمعية، وأيضاً الدستور الجاهز لصيرورة البناء الاجتماعي.

وتأسيساً على ما سبق أمكن تسجيل ورصد عدة نقاط من الممكن أن ينتقى منها موضوعات ومجالات علم الاجتماع الإسلامي. من أهمها:

١-أن تكون النظرية الإسلامية ذات جوهر نقدي للواقع البشري، بما يمكن من إصلاح إشكاليات الواقع والارتقاء به.

٢- التركيز على واقع العرب بعد الإسلام، والانتقال الحضاري لهم من الحياة البدوية إلى الحضرية، والاستفادة من التجارب الإسلامية الناجحة، وإعادة إنتاجها بموضوعية من جديد. وكيف أصبحوا أمة لها رسالتها الحضارية.

٣-العودة إلى التراث الإسلامي الصحيح، عند دراسة القضايا التربوية والاجتماعية للاستفادة من هذا التراث بالربط بين المنهج الرباني والمنهج العلمي.

٤- التركيز على الجوانب التطبيقية للمذاهب الإسلامية؛ والعمل على دراسة المشاكل الاجتماعية، والانحرافات والبدع، وإيضاح ماهية الفجوة بين الأخلاق الإسلامية الرصينة وأخلاق المسلم المعاصر.

٥- دور الدين الإسلامي كمنظومات قيم في تغيير وتحديث الواقع الاجتماعي. وإبراز الوجه الحقيقي للدين، وتأكيد محاربته للتطرف والتخلف.

٦- إبراز دعائم قيام المجتمع الإسلامي المنطلقة من مبادئ التكافل الاجتماعي والمساواة في الحقوق والواجبات والأخوة العامة بين المسلمين، والسعي باتجاه هدف صريح، هو تحديد العوامل الكامنة وراء تخلف المجتمع الإسلامي.

٧-دور النخبة الإسلامية في بناء المجتمع الإسلامي مقارنة بالمجتمع الأوروبي. والاستفادة العلمية من الثقافات العالمية من خلال مشروع حضاري لإعادة بناء المجتمع الإسلامي بشكل معاصر وفق إطار العقيدة الصحيحة.

٨- الدراسة المنهجية للآداب الإسلامية مثل: آداب الأخلاق والعلم، والصدق، والوفاء بالعهد والوعد، والتواضع، وقضاء حوائج المسلمين، وصلة الرحم وحقوق الجار، والوطنية ومحاربة أي انحراف... إلخ.

سابعاً:- الأهمية العلمية والتربوية لعلم الاجتماع الإسلامي.

ويمكن أن تتضح الأهمية العلمية والتربوية لعلم الاجتماع الإسلامي، وذلك من خلال تنقية ما لحق بعلم الاجتماع من الأفكار التي لا تتفق مع الفكر الإسلامي السليم والتي تقدم للأسف لطلاب هذا العلم وذلك كما لاحظناه في دراستنا لقضية الثقافة عند الحديث عن العناصر التي تميز الثقافة ومنها أنها نتاج بشري خالص، وهذه النظرة للثقافة تتفق مع النظرة الغربية التي ترى بأن الأديان هي فكر اجتماعي وضعي وبالتالي يصح أن نقول بأن الثقافة نتاج بشري، ولكن إذا ما رأيناها من زاوية الفكر الإسلامي فهذا لا يتسق وإياه؛ لأن ثقافتنا بما تحويه من جوانب مادية وغير مادية تعود في جلها إلى مصدر إلهي وصلنا عن طريق الوحي والأنبياء وليس كنتاج بشري خالص، كما أن الثقافة كذلك ليست كما ورد في كتب علم الاجتماع، أنها مكتسبة، بل نعلم كمسلمين أننا قد فطرنا جميعا على التوحيد وبعد ذلك تتدخل العوامل البشرية في تغيير هذه الفطرة وبالتالي فإن الدين كأحد جوانب الثقافة هو شيء مكتسب وموروث جيني في نفس الوقت.

وقد دلت على ذلك الطرح البحوث العلمية الأخيرة حيث كشفت دراسة أمريكية عن وجود جينات في مقدمة الرأس تتحكم في النزعة الروحانية ودرجة التدين لدى الإنسان، والكتاب يحمل عنوان: الجين الإلهي (The god gene)، وقد أزاح فيه العالم " هامر" الستار عن أن الإيمان بالله والاتجاه إليه في مختلف الديانات والمجتمعات والشعوب، واختلاف درجة هذا الإيمان من شخص إلى آخر، كل ذلك يعود إلى جينات

أطلق عليها تسمية:" VMATS" موجودة في مقدمة مخ الإنسان، هي التي تتفاعل كيميائياً لتقود الإنسان إلى ربه.

ولعل الأهمية الكبرى لعلم الاجتماع الإسلامي، هي دعمه لقضية الرسالة التربوية، وإبراز ركيزتها الأولى " العلم والخلق". وكانت أول كلمة نزلت في القرآن الكريم: ﴿ اقرأ ﴾، وهي تدلنا على الطريق السليم، والصراط المستقيم، والمتمثل في مدى اهتمام الإسلام بالعلم، وأهمية البحث العلمي وقيمته بالنسبة للفرد والأُسرة والمجتمع.

وقد جاء الإسلام داعياً إلى البحث العلمي والدراسة والتمحيص والتنقيب والمعرفة؛ فالحكمة ضالة المؤمن، وطلب العلم فريضة على المسلمين، وهو في ذلك لا يميز بين علم وآخَر، بل اعتبر العلوم النافعة هي تلك التي تحقق مصلحة دينية، أو توصل إلى منفعة دنيوية، وقد دعا الإسلام إلى تمجيد العقل، وتحصيل العلم، حتى إنه قرن شهادة العلماء بشهادة الملائكة: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ. (آل عمران: الآية: ١٨)

إن أهمية علم اجتماع إسلامي في مؤسساتنا التعليمية اليوم؛ أصبح ضرورة حتمية أكثر من أي وقت مضى، فالجميع اليوم يقرون بوجود أزمة في القيم والأخلاق. هنا يتمكن علم الاجتماع الإسلامي بمرتكزاته السابقة القيام بدور ها...

إن الملف الذي سيكلف به علم الاجتماع الإسلامي، نرى أنه من أهم الأولويات والواجبات التي يمكن إعادتها للمجتمع وتأصيلها في المنهجية التعليمية من خلال:

١- يتشكل مقرر علم الاجتماع الإسلامي، على قاعدة تأصيل القيم كالمواطنة والأخلاق ، والمشاركة الجماعية.

٢- تدريب الناشئة والشباب على كيفية التصدي والمعالجة لقضايا مجتمعهم بشكل علمي، وغرس حب الوطن والنظام واحترام القانون في نفوسهم، لكون التقيد بهذه الفضائل من مظاهر التمدن والرقي والمساهمة في بناء وازدهار المجتمع.

٣- يعتبر المعلم المثل الأعلى للأبناء، وحجر الأساس في تعليم القيم والعادات الوطنية، والتمسك بعقيدتهم الإسلامية الصحيحة. وغرس روح المبادرة للأعمال الخيرية والتطوعية التي تسهم في تأصيل معنى المواطنة الصالحة.

خاتمة

يعد علم الاجتماع الديني أداة معرفية لاكتشاف معالم الظاهرة الاجتماعية الدينية، وتوصيفها وتحليلها، وترسيم هيكليتها وأنساقها المعرفية والعملية، وعلاقاتها الداخلية والخارجية، ومقارنتها بالظواهر الأُخر المشابهة أو المتعارضة . وليست مهمة علم الاجتماع الديني اختراع ظواهر الاجتماع الديني أو اختلاقها، ولا الاستدلال على صحتها وخطئها؛ لأنه ليس علماً تجريبياً ومعيارياً، ولا علاقة له بالسجال الديني والمذهبي؛ بل هو أداة لدراسة ظاهرة قائمة.

وكغيره من العلوم الإنسانية والاجتماعية المعنية بدراسة الدين؛ فإنّ علم الاجتماع الديني هو منهج معرفي نشأ في الغرب كرد فعل على احتكار الكنيسة للدراسات المعنية بالأديان وتطورها التاريخي وفلسفتها وعقائدها. فقد كانت العلوم الاجتماعية والإنسانية الكنسية هي جزء من الدراسات اللاهوتية المسيحية. ولكن بالتزامن مع ما عرف بعصر النهضة الأوربية وصراع العلمانية والكنيسة؛ برزت المنهجيات العلمانية السوسيولوجية والأنثروبولوجية والأثنولوجية الدينية؛ لتقدم تفسيرات علمانية لنشوء الأديان وتطورها، ولتعريف المقدس والمدنس. أي أنّ علم الاجتماع الديني التقليدي يمثل الفهم السوسيولوجي العلماني للدين، وهو الفهم الذي ظهر رداً على الفهم الكنسي للدين أو الفهم الديني للدين . وإذا كانت العلوم الدينية تدرس الدين من داخله، من خلال علم العقيدة وعلم الفقه وعلوم النص المقدس وتاريخ الأنبياء والأديان؛ كونها علوم تستند إلى نصوص دينية وقواعد دينية أو مستنبطة من الفهم الديني ؛ فإنّ العلوم الإنسانية والاجتماعية واللسانية الوضعية، ومنها علم الاجتماع الديني، تدرس الدين من خارجه، وبعيداً عن حضور المقدس والتقاليد الدينية النصوصية.

وقد حاولت كثير من منهجيات علم الاجتماع الديني، الغربي والماركسي، وأنثروبولوجيا الدين، والفينومينولوجيا، وأثنولوجيا الدين، وعلم النفس الديني؛ أن تقدم تفسيراً إنسانياً يفصل الدين عن المثل العليا السماوية، وتعرفه بأنّه مجرد ظاهرة اجتماعية أثنولوجية أو اجتماعية نفسية أو أنثروبولوجية لا علاقة لها بالغيب، بل وتقدم تفسيراً للإيمان الغيبي من خلال مناهج الميتافيزيقيا؛ باعتبارها صناعة وعي الإنسان بالغيب، وهي صناعة لها أسبابها النفسية والاجتماعية والقومية والجغرافية، وأنها الواسطة بين المعقول واللامعقول، وأنها عبارة عن معتقدات وطقوس وأخلاق لا أكثر ويدخل التحليل الماركسي للظاهرة الدينية في عداد مناهج علم الاجتماع الديني الغربي العلماني أيضاً .

هذا التقويم المختصر لمناهج علم الاجتماع الديني الوضعي، يؤكد عدم قدرته على دراسة النظام الديني الاجتماعي الشيعي أو الظاهرة الدينية الاجتماعية الشيعية دراسة موضوعية تكشف بالفعل عن حقائق الظاهرة وبناها المركبة؛ لأنّ المباحث التقليدية لعلم الاجتماع الديني تقتصر على دراسة الظواهر الدينية الاجتماعية، وتأثير الدين في إيجاد الظواهر الاجتماعية المنسوبة إليه، ولا يتمدد إلى دراسة الظواهر الاجتماعية السياسية والظواهر الاجتماعية الثقافية والظواهر الاجتماعية المعرفية؛ لأنّها ظواهر مستقلة . عادة . عن الأديان والمذاهب الأُخر؛ إذ تفرز الأديان ومؤسساتها ظواهر دينية اجتماعية غالباً. بينما يضم النظام الديني الاجتماعي الشيعي جميع هذه الظواهر، وتنتمي إليه كل المؤسسات الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية والمعرفية الشيعية، وأن قيادة النظام المتمثلة بالمرجعية الدينية وولاية الفقيه تشرف على كل هذه المؤسسات الفرعية، وهي قواعد وسياقات غير موجودة في جميع النظم الاجتماعية الدينية الأُخر التي يدرسها علم الاجتماع الديني التقليدي.

تدريبات عملية

اجب عن الاسئلة الآتية:-

س ما هو مفهوم علم الاجتماع الإسلامي: (Islamic Sociology)؟

س وضح العلاقة بين الدين وعلم الاجتماع؟

س اذكر بإيضاح ضرورة قيام علم الاجتماع الاسلامي؟

س ما هي اساسيات نشأة علم الاجتماع الاسلامي؟

س ما هي الأهداف العامة لعلم الاجتماع الإسلامي؟

س وضح القضايا العامة لعلم الاجتماع الإسلامي؟

س ما هي الأهمية العلمية والتربوية لعلم الاجتماع الإسلامي؟

الفصل الرابع

الدين والتغير الاجتماعي

Regional and Social Change

تمهيد

أهتم الانسان بفكرة الدين، وأخذ هذا الدين يتطور ويسلك فيه الانسان طرائق متعددة ، واصبح الدين يتمثل في حياة الإنسان في أربعة أوجه هي: الطقوس، والعاطفة، والإيمان، والإدراك العقلي.

نجد ان كثير من العلماء تناولوا بالدراسة العلاقة بين الدين والسحر وإن كانوا قد اختلفوا فيما بينهم حول أسبقية أي منهما علي الآخر في المجتمعات البشرية وانقسموا حيال هذا الموضوع إلي فريقين:-

- فريق يؤكد علي أسبقية السحر علي الدين أمثال فريزر الذي رأي أن المجتمعات البشرية مرت بثلاث مراحل التطور وهي: السحر والدين والعلم ، فالسحر كان بسيط علي حياة الإنسان الأول ويسيرها، وكان السحر هو الوسيلة العملية لتفسير الإنسان لمظاهر الطبيعة.
- وهناك فريق آخر يذهب إلي أن المرحلة الدينية قد سبقت المرحلة السحرية في الجماعات البشرية أمثال الاب شميدث الذي يجد في الدراسات الأنثروبولوجية أدلة تدعم وجهة نظره. فهذه الدراسات أكدت أن ديانة التوحيد البدائي هي الديانة التي كانت سائدة في المجتمعات الإنسانية. وأن الطقوس السحرية جاءت مسخاً وتشويها لتلك الديانة.

ومهما كان من امر الإختلافات أن هناك اتفاق بين معظم العلماء علي ان هناك فرق بين الدين والسحر رغم اتصالهما بعالم الغيبيات.

اولاً: التحديث والقيم الدينية.

شهد القرن العشرين العديد من المحاولات لتحديث المجتمع العربي منذ مطلع القرن ، فانه بالرغم من المجتمع العربي في بعض أجزاؤه قد تأثر بالقيم الغربية، إلا أن المجتمع العربي لم يكن بقادر علي استيعاب هذا التدفق الهائل من القيم الغربية. وقد أدي هذا الصراع الفكري بين المصلحين الدينين الذي حاولوا الدفاع عن القيم التقليدية، وبين العلمانيين الذين رحبوا بالقيم الجديدة رغم معارضتها وهجومها للقيم التقليدية. وفي منتف الطريق بين هذين الاتجاهين، وقف القادة السياسيون يحاولون التخلص من السيطرة الأجنبية وفي نفس الوقت تحديث المجتمع ونتيجة لهذه المحاولات المتصارعة، فإن مصر كانت في حالة تمزق حيث نسقها القيمي لم يكن بقادر علي التحول نحو خلق المجتمع الجديد.

فلقد كانت مصر منذ القرن ١٦ حتي القرن١٨، تحت سيطرة الحكم العثماني، وما حمله هذا من عزلة وثبات نسبي. أكثر من هذا، فإن نسق القيم الإسلامي في تلك المرحلة كان تأثير الصوفي والقيمي كان العلماء مستسلمين لواحد من مدارس الفقة الاربعة، ولكن تعد حملة نابليون بمثابة ناقوس الخطر الذي حمل معه أولي جذور تحديث بناء مجتمع ينتمي إلي العصور الوسطي. وقد حاولت أسرة محمد علي تحديث نظام التعليم المصري، وذلك عن طريق إرسال البعثات وفتح المدارس وتحديث الاقتصاد المصري، وكانت النتيجة ظهور طبقة متأثرة بالفكر الغربي.

ونجد ان النسق القيم المصري ما زال يتأرجح بين القيم المحافظة وبين القيم الليبرالية العلمانية أو بين الموجهات النظرية للإصلاح والعمل السياسي حتي وقتنا هذا.

ويلاحظ أن كل المصلحين– كانوا يسعون إلي تحقيق التحديث، إلا أن هناك اختلاف بين رجال الدين والعلمانيون حول طبيعة أهداف التحديث. وفي خضم هذا الصراع؛ ظهرت حركة الاخوان المسلمين، حركة إصلاحية اجتماعية وسياسية وحاولت التوفيق بين القيم الغربية والقيم المحافظة للهوية الإسلامية. فكان هدفها الأساسي هو تحويل القيم الدينية إلي برنامج فعال للفعل الاجتماعي، والحق ان حركة الاخوان كانت من أقوي الحركات الدينية– السياسية في الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات من هذا القرن. وكان جوهر هذه الحركة أن الإسلام كدين صالح لأن يتحول إلي برنامج إصلاحي لو عبئت القيم الاسلامية وترجمت إلي برامج إصلاحية. فتحديث المجتمع بالنسبة لهم هو عودته إلي الإسلام، أو بمعني آخر فالإسلام هو ذاته التحديث المنشود.

ثانياً: الدين والطبقات الاجتماعية

يظهر التقسيم الكلاسيكي لوظائف الدين وفقاً للطبقات الاجتماعية بوضوح عند كارك ماركس، فقد وضع فصلا بين دين البرجوازيين ودين البروليتاريا. فالدين بالنسبة للبروليتاريا– من وجهة كارل ماركس– هو مسكن ويمد أفراد هذه الطبقة بطريق الهرب من الواقع الصعب . وهو عقل لعالم بلا قلب، وروح لأوضاع بلا روح. لذا يري ماركس أن إزالة الدين ومحوه هو مطلب للسعادة الضرورية.

يري ماركس أن أفراد هذه الطبقات(البرجوازيين والصفوة) يستخدمونة كأداة للظلم والاستبداد كوسيلة لإبقاء البروليتاريا في وضعها وتمكين الصفوة من مراكز القوة والأفضلية ووفقاً لنظرة ماركس الدين ما هو الإ تعبير عن علاقات السيطرة الاقتصادية ففي ظل الاقتصاد الرأسمالي– الدين اداة لتدعيم وابقاء التفاوت الطبقي.

فنجد أن اغتراب الافراد عن أوضاعهم الحقيقية ينعكس بصدق في الدين وقد اتفق ماركس مع انجلز بأن الدين سيختفي عندما تختفي السيطرة الرأسمالية الاقتصادية.

ولقد أشار ماكس فيبر إلي تباين وظائف الدين بالنسبة للطبقات الاجتماعية وهذا يتضح في تمييزه بين دين أصحاب المميزات ودين غير المميزين تحت مصطلحا تبرير البأس أو الهروب، وتبرير حسن الحظ، ففي الحالة الاولي بالنسبة للطبقات الدنيا الفقيرة هو طرق الخلاص والفوز بالآخرة، وهذه الطبقات تعتقد وتؤمن بأن الجحيم سيكون للأثرياء، وهذا الاعتقاد هو تبرير لأوضاعهم الطبقية الدنيا.

ومن ناحية آخري نجد ان الطبقات الثرية تظهر تبريراً دينياً عن وضعها الطبقي المميز ، وتري أن ما تتمتع به من ثروة ووضع طبقي مميز هو برهان لرعاية الإله لها. وايضاً هذا مؤشر إلي أن كل ما هو حسن في حياتهم سيكون كذلك في إي حياة مستقبلية بالنسبة لهم.

ثالثاً: التقدم ....والدين

من الظواهر التي اصبحت واضحة في عالمنا المعاصر هو تدهور الوازع الديني في المجتمعات سواء المتقدم منها أو النامي، وضعف تمسك الأفراد بالقيم الدينية حتي أصبح اليوم كموضع بين النظرية والممارسة محل نقاش واهتمام نظراً لاعتبارات منها:-

- التقدم السريع في المعرفة الفكرية والعقلية.
- الاتجاه الواسع الانتشار في جميع العالم نحو الرغبة في تجديد الأديان.
- التفاعل بين الدين والأحداث الاجتماعية والسياسية

ولما كانت ظاهرة انحسار وضعف الوازع الديني فب المجتمعات الصناعية المتقدمة يرجع في المحل الأول إلي الاندفاعية الهائلة نحو التصنيع والاعتماد علي الآلآت مما جعل الأنسان ينشغل عن فكرة الله(الذي خلق) إلي فكرة الإنسان(الذي يبتكر) فالصانع ينظر حوله ويري أنه يصنع كل شئ بيده ويخلق أدواته وآلاته، فلا يكون هناك مكان للغبيات عنده.

س ما هي أسباب تدهور الوازع الديني في المجتمعات النامية؟

أن الاسباب في الدول المتقدمة ، تكمن في التطور والنمو المادي السريع، وسيطرة الآله علي الانسان، أما التدهور الديني في المجتمعات النامية فأرجعها علماء الاجتماع في هذه الدول الي عاملين رئيسين هما:-

- يري فريق من العلماء أن ضعف الوازع الديني في المجتمعات النامية مرجعه إلي التغيرات المختلفة التي تتعرض لها هذه الدول والتي تؤثر علي بنائها الاجتماعي. ولا شك أن البلدان النامية من أكثر البلدان تعرضاً للتغيرات الثقافية والاجتماعية ، ومنطلقات هذا التغير متعددة فقد تكون من داخل النطاق الاقتصادي، أو داخل النطاق السياسي، وينصب التغير الثقافي في هذه البلدان علي عديد من الظواهر من أظهرها القيم والميول الفكرية والتصورات الدينية.
- هناك فريق آخر من العلماء يرجع ظاهرة ضعف الوازع الديني إلي حالة التخلف والتبعية التي تعاني منها الدول النامية؛ حيث نجح المستعمر في أبعاد الفرد عن دينه بذلك يصبح شيئاً تائها في فراغ. وبذلك يسهل احتوائه في ثقافة المستعمر والانخراط في فلكه.

رابعاً: العبادات(الانشطة الدينية) والظواهر الاجتماعية

أن النشاط الذي يبذل في مجال العقيدة الدينية إنما يبذل من جميع المنتمين لهذه العقيدة أو تلك من حيث أن هذا النشاط القلبي والذهني يبذل من الاطفال تقليداً للآباء والامهات من حيث أن انتماء الانسان للعقيدة انما يتم منذ الطفولة وبمقتضي الولادة.

نشير الي أن بعض أنواع هذه العبادات تصاحبة ظواهر اجتماعية لابد من الإشارة إليها والتأكيد عليها فالصلاة مثلا عبادة وصلاة الجماعة فيها ظاهرة اجتماعية ولكن صلاة الجمعة عند المسلمين وصلاة الاحد عند المسيحين فيها ظواهر اجتماعية تتعلق بخطبة الجمعة وموعظة الأحد من حيث أن فيها توجهات اجتماعية تكون باسم الدين.

والصوم مثلا فيه ظاهرة اجتماعية تتعلق بالعناية بالمحرومين من القوت الضروري وفيه ظاهرة آخري هي أن نهاية الصوم في الغالب تكون عيد ، فصوم رمضان عند المسلمين يقع قبل عيد الفطر مباشرة ويسبق العيد الاكبر صوم يوم عرفات وهو سنة وليس فرض، والصوم الكبير عند الأقباط يأتي لعده عيد القيامة وصوم الميلاد في السابع من يناير ، والزكاة تلبي احتياجات الفقراء، والحج له ظواهره الاجتماعية ولكنها الظواهر التي تقع خارج مصر فهي عند المسلمين في مكة والمدينة وهي عند المسيحيين في بيت المقدس

وهناك أنشطة تتعلق بالايام الدينية أو بالمناسبات التي لها علاقات دينية واضحة عند المسلمين مثلا تتم الاحتفالات الدينية في المؤسسات الدينية أيام وليالي

من كل عام مثل ليلة الإسراء والنصف من شعبان وليلة القدر ويوم عرفات وتتم الاحتفالات علي مدي اوسع

هذا الي جانب بعض العادات والتقاليد الدينية التي تتعلق بالموالد وموالد اهل البيت والمشهورين من الأولياء ممن يري الصوفيون ان الاحتفال بهم أمرا لابد منه، وتصاحب هذه الايام وهذه الاعياد ظواهر اجتماعية معروفة فيها ذكر الله وتناول الطعام والملاهي وما إلي ذلك

خامساً: التحديث الديني والمجتمع الاسلامي.

ان القانون الاسلامي علي الرغم من أنه مؤسس علي القرآن الكريم واحاديث الرسول(ص) الا انه ما زال يسمح للمجتمع بان يكيف نفسه امام الظروف الجديدة، حتي لو تطلب ذلك تعليق حكم أو قانون كان معترف به ، هذا بالإضافة إلي ان الاجتهاد يعد منهجا مقبولا ومعترفاً به لتطور المجتمع الاسلامي ولمقابلة التغير الاجتماعي.

فالمجتمع الاسلامي يجب أن يعمل طبقاً للقيم الاسلامية أو الشريعة وتوجيه المجتمع نحو هذا الاتجاه هي مسئولية كل مسلم مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فضلا عن هذا. فان المصلحين الدينين يشيرون الي قول الرسول(ص) من أنه" علي رأس كل مائة سنة يرسل الله من يجدد أمور دينه"؛ والحق أن هذا الحديث يستخدم لتبرير مهمة المصلحين وهكذا فان الحركات الدينية في الاسلام أصبحت لها وظائف ثورية.

وفي العصر الحديث بدأ صوت الدعوة الي الاصلاح يسمع في البلاد الاسلامية وذلك عندما أصبح الفساد وعدم التماسك بالقيم من أهم خصائص المجتمع

الاسلامي. وقد قامت ضد هذه الظروف عدة حركات دينية في مصر والعالم الاسلامي، وظهرت قيادات دينية وعلمانية ملهمة حاولت حماية القيم الاسلامية وترجمتها في برنامج من المشروعات والانجازات . ومن هنا فان الشعور بان التغير والاصلاح أمر ضروري ظاهرة طبيعية نابعة من روح الاسلام

خاتمة

علي الرغم من أن التغير هو سنة الحياة، الا أن هناك العديد من المناقشات العلمية حول اذا كان الدين يغير المجتمع ام العكس. ولهذا فان مهمة عالم الاجتماع الديني هي تحليل واكتشاف الظروف التي تساعد أو تعوق التأثير الديني. ولا يعني هذا أن علم الاجتماع الديني مطالب باقتفاء المواقف التي يكون فيها الدين السبب الرئيسي في التغير الاجتماعي. أذا ان الدين هنا مجرد عاكس للتغيرات الاجتماعية الآخري.

كما يمكننا القول بان الدين يقوم بدور "العاكس" للتغيرات المجتمعية الآخري بدلاً من أن يحاول توجيهها بنفسه طبقاً لمبادئة، أن الدين يقف أمام بعض المتغيرات المطلوبة للمجتمع الحديث مثل استخدام حبوب منع الحمل أو التعليم العلماني أو اقتصاد البنوك .

وأخيراً ان الدين له دورا في المساهمة في خلق المناخ الملائم للثورات في المجتمعات المستعمرة فالدافع الديني يلهب الشعوب لمقاومة المستعمر ، وتعتبر التضحية في سبيل الوطن من اسمي القيم التي تنادي بها الاديان.

أن الانشطة التي تتبع من توجيه قيمي ديني قد تؤثر بصورة أقوي في نفوس من يقومون بها ، ويحدث نوعا من الرضا الذي تؤدي الي تحقيق الانجاز أو التنمية المنشودة.

تدريبات عملية

اجب عن الاسئلة الآتية:-

س تكلم عن التحديث والقيم الدينية؟

س اذكر العلاقة بين الدين والطبقات الاجتماعية؟

س وضح العلاقة بين التقدم ....والدين؟

س هل العبادات(الانشطة الدينية) تعمل علي وجود ظواهر اجتماعية جديدة؟

س ناقش التحديث الديني والمجتمع الاسلامي؟

الفصل الخامس

المسجد والمجتمع الاسلامي

تمهيد

المسجد في المجتمع الإسلامي له أهمية كبرى ودور عظيم في تنمية المجتمع وترشيده، ولا يقل هذا الدور في أهميته عن أثر المسجد في تكوين الفرد المسلم، بل إن المسجد ميدان تعليم وتطبيق في لحظة واحدة.... ميدان تعلم حيث يتعلم المسلم فيه كيف يحترم شعور الآخرين وكيف ينضبط في الصف مع المصلين، وباهتمامه بالصلاة تعليم له على أحوال إخوانه المسلمين بالإضافة إلى أمور دينه وأخلاقياته إلى غير ذلك من جوانب حياته.

وفي المسجد يتم تطبيق ما تعلمه المسلم .... لأنه المكان اللائق الذي يجب أن يكون موضوع إجلال الجميع، وعلى النتائج الحاصلة من هذا التطبيق ينعكس في نفسية المسلم وعلى سلوكه ما يهدف إليه المسجد خارج حدوده، وهذا ما جعل من المسجد مكاناً هاماً له أثره الأكبر في بناء المجتمع الإسلامي.

لذا فإن المسجد لم يكن مكاناً لأداء الصلاة فقط، ولكن كان يمثل الموجه في بناء المجتمع من كل جانب بما توحيه الرسالة المحمدية، ففتح أبوابه للصلاة، ولتوجيه المجتمع توجيهاً إسلامياً سواء من خلال المنبر أو حلقات العلم والدرس أو الأحداث التي تجري داخله، إذا كانت الفرصة مهيأة للاجتماع والتعارف، وتقوية الروابط الأخوية بين المسلمين، فالصلاة وحدها والتي يظن البعض أنها علاقة بين العبد وربه، هي في الحقيقة شحنة روحية هائلة ودرس أخلاقي واجتماعي ونفسي يدفع الإنسان إلى الطريق الأفضل في حياته

وعلاقاته مع الآخرين بسلوك يتسامى ويتعالى لأنه يستمد توجيهه من التربية الإسلامية.

وعلى هذا فإن المسجد قام بأدوار تربوية متعددة في المجتمع الإسلامي في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين بشكل واضح ومؤثر أكثر من أي عصر مر بعد ذلك، وسنعرض لهذه الأدوار التربوية بدءاً بالتربية الإيمانية وانتهاءً بالتربية الإعلامية وبيان أسباب نجاح المسجد في أداء هذه الأدوار.

اولاً:- تعريف المسجد

المسجد فى اللغة: من سجد يسجد سجوداً إذا وضع جبهته على الأرض. السجود مواضعه من الجسد والأرض، فكل مكان يتعبد فيه فهو مسجد، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا "، ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، اشتق منه اسم المكان للموضع الذى بنى للصلاة فيه، فقيل مسجد ولم يقل مركع مثلا أو غيره مما يشتق منه أفعال الصلاة.

أما في الاصطلاح: فهو كل موضع من الأرض، لقوله صلى الله صلى الله عليه وسلم: " جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل" (رواة الامام ابو مسلم)

وقيل: المسجد هو بقعة من الأرض مخصصة لأداء العبادة فيه متحرر من التملك الشخصي، وعلى هذا يكون المسجد بقعة من الأرض ليست ملكاً لأحد، وتؤدى فيه مهمات عبادية ودعوية وتربوية وغيرها، قال القرطبي فى كتابه "الجامع لأحكام القرآن": هذا ما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، وكان الأنبياء قبله إنما أبيحت

لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس. إن المسجد خصص بالمكان المهيأ للصلوات الخمس، حتى يخرج المصلى الذي يجتمع فيه للأعياد ونحوها.

قال القاضي عياض: لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته.

ثانياً:- أنواع المساجد.

تتنوع المساجد من حيث اتساعها وحجمها إلى ثلاث أنواع:

- **النوع الأول:** مصلى أو زاوية: وهو مكان يكفى لأربعين مصلياً على الأقل، وتقام فيه عادة صلاة الجماعة أو الصلاة الخمسة المفروضة على المسلمين الموجودين فى مجموعة سكانية قليلة، أو قرية صغيرة.
- **النوع الثانى:** الجامع: وهو من أهم المنشآت العامة فى البلاد الإسلامية، لما له من دور أساس فى حياة مجتمعنا، فبجانب أداء فريضة الصلاة فيه، تقام به أنشطة تتعلق بالشئون السياسية والتربوية والاجتماعية، هذا وقد كان فى كل مدينة جامع كبير يتسع لكل الناس يقع فى مركزها، فجامع عمرو بن العاص فى مصر على سبيل المثال مساحته حوالى ١٣٢٠٠ متراُ، وعندما اتسعت المدن وسارت مترامية الأطراف كان ولابد أن تتعدد الجوامع فى المدن لتكفى حوائج الناس.
- **النوع الثالث:** المسجد: وهو المكان الذى يخدم حي بأكمله، ويتوقف حجمه على عدد سكان هذا الحى، فلا بد من أرض يقام عليها المسجد ليصلي فيه المسلمون، وهذه الأرض، ينبغي أن:

١- تكون في وسط الناس.

٢- أن يكون لها طرق مأمونة ميسورة على الناس.

٣- وأن تكون بمكان تجوز الصلاة فيه.

٤- لا بد أن تكون من ملك العباد ليستمر المسجد مأوى للمتقين العابدين لله سبحانه وتعالى. ويمكن أن تتم فيه صلاة الجمعة، وله إمام ومؤذن، وقد كان المسجد يسمى بـ " مسجد الفروض الخمسة "، ويتوفر فيه مجموعة من الخدمات العامة المختلفة التي تخدم الناس، ويكون به مركزاً علمي وديني وثقافي، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول من أمر ببناء المساجد، فقد كتب إلى أبى موسى الأشعري وهو بالبصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة، ويتخذ للقبائل مسجداً، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة.

ثالثاً:- أهمية المسجد وفضله.

يقول تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} (سورة الحج اية٤٠)، يقول القرطبي "رحمه الله تعالى" في تفسير هذه الآية: أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما يبنيه أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن الله تعالى أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة، فالمساجد أحب البقاع إلى الله تعالى، وهى قلعة الإيمان ومنطلق التوحيد لله تعالى، فهي المدرسة التي أخرجت الجيل الأول ولا زالت بحمد لله تخرج الأجيال، وهى ميدان العلم والشورى والتعارف والتآلف بين الناس، إليها يرجع المسافر أول ما يصل إلى البلدة شاكراً لله تعالى سلامة العودة، مستفتحاً أعماله بعد العودة بالصلاة فيها، استشعارا بأهميتها

وتقديمها على المنزل، وتذكيراً بنعمة الله تعالى، وتوثيقاً للرابطة القوية للمساجد، لذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم أول عمل قام به بعد هجرته إلى المدينة المنورة بناء المسجد " مسجد قباء".

يقول تعالى أيضاً: {لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} سورة التوبة الاية١٠٨، سار على ذلك النهج الخلفاء الراشدون وغيرهم في القرون المفضلة، ومن بعدهم السلف الصالح ومن تبعهم، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هى المساجد، فإن النبى صلى الله عليه وسلم أسس مسجده على التقوى، ففيه تقام الصلاة وقراءة القرآن الكريم والذكر وتأمير الجيوش، وتنصيب الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات، وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل فيه الوفود نظراً لأهميته البالغة، ويقيم فيه حلقة الذكر والعلم والإعلام، وهو منطلق الدعوة والبعوث، ويبرم فيه كل أمر في وقت السلم والحرب. ولا يزال المسجد مهيأ للقيام بأدوار عظيمة في التعليم والتربية والوعظ والتوجيه والإرشاد، والتكافل الاجتماعي، والحسبة وغيرها من أمور الحياة . والمساجد دور عبادة وذكر، وتضرع وخضوع لله عز وجل، ومواضع تسبيح وابتهال وتذلل بين يدي الله ورغبة فيما عنده من الأجر الكبير. {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، ومقام تهجد وترتيل لكتاب الله وحفظ له وغوص وراء معانيه، وتمعن لمفرداته واستنباط لأحكامه، واستخراج لمخزوناته ومكنوناته من بلاغة وبيان وإعراب وقصص وغيرها.

والمساجد أهم وسيلة، وأسلم مكان، وأفضل بقعة ينطلق منها العلماء لتوجيه الناس، وتعليمهم وتثقيفهم، وحل مشكلاتهم، ولذا كان المسجد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرون الفاضلة هو المكان الذي يصدر عنه كل أمر يهم المسلمين في دينهم ودنياهم. ولأهمية المساجد فقد نسبها الله تعالى إلى نفسه فقال عز وجل: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً} سورة الجن الآية١٨، وقد روى الإمام مسلم رضى الله عنه فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها "، والمساجد هى بيوت الله تعالى فى الأرض، وزوارها عمارها، فروى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " من توضأ فى بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر".

رابعا:- فضل المسجد.

المساجد أفضل بقاع الأرض، يقول ابن عباس رضى الله عنه: « المساجد بيوت الله في الأرض، تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض ». فالمسجد هو أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع العلم والمعرفة في الإسلام، وهو مصدر الانطلاقة الأولى لدعوة الإسلام ونبع الهداية الربانية، فعلى سمائه ترتفع الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، وعلى منبره يشع نور العلم والإيمان، وعلى بقعته الطاهرة يؤدى العمل الصالح ثمرة الإيمان، وهو المرتكز الذى تدور حوله قاعدة الجهاد الكبرى، والمحور التي تلتف حوله الأفكار والعواطف، والمحضن الذى يربى الصفوة والرواد الذين يحملون مشاعل النور والهداية ويطوفون البلاد يحملون في داخلهم صفة المسجد ورائحته وطهره.

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله، إلى الجنة " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدل على الفضل العظيم للمسجد فهو الطريق الموصل إلى رضى الله تعالى ورحمته، والمأمن على الصراط والفوز بالدخول إلى الجنة التي هي غاية كل إنسان.

وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ستة مجالس المؤمن ضامن على الله تعالى ما كان في شيء منها في مسجد جماعة، وعند مريض، أو في جنازة أو في بيته أو عند إمام مقسط يعزره ويوقره " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي في هذه الأماكن الست إذا كنت فيها، ووافتك المنية، فأنت في ذمة الله، والله يضمن لك الجنة، فإذا وافت الإنسان منيته وهو في المسجد فهذه شهادة طيبة تدل على حسن الخاتمة.

وعن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة " (رواة ابو داود الترمذي). المشاؤون إلى المساجد في الظلمات هؤلاء هم أهل الخير لله عز وجل.

وأيضا في الحديث الذى رواه البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فقال علية الصلاة والسلام: ورجل قلبه معلق بالمساجد" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا من فضل المسجد أى الذى تعلق قلبه بالذهاب إلى المساجد يظله الله في ظله: أى ظل العرش، يوم يكون الناس فى حاجة إلى ظل يظلهم من حرارة الشمس فلا يجدوا إلا ظل عرش الرحمن فمن تمسك وتعلق قلبه بالمساجد فى الدنيا فاز بهذا الظل يوم القيامة.

خامساً:- المسجد والوحدة الاجتماعية.

إن من آثار المساجد الاجتماعية إيجاد التكافل الاجتماعي بين المسلمين فالمسجد هو وسيلة التعارف اليومية، حيث يتعارف أبناء الحي الواحد من خلال تواجدهم في الصلاوات المفروضة والاعتكاف وحلقات الذكر، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (سورة الحجرات الاية١٣) ، ومع مرور الأيام يألف بعضهم بعضا وتنشأة بينهم المحبة في الله ثم تقوى بينهم أواصر الأخوة الإسلامية والمحبة بينهم. وعند ذلك تظهر آثار هذا التعارف وهذه الأخوة في الله في ترابط أفراد المجتمع وانسجامهم جميعًا في أسرة واحدة. وفى المسجد تنمو وتكبر أواصر الأخوة عند المسلم، فيحدث التعارف بين المسلمين وينمو التآلف والتواد، وفيه تصقل شخصية المسلم ويزول ما علق فيها من عيوب اجتماعية كالانعزال والتواكلية والأنانية، حيث يُهيئ المسجد لرواده مجال الانطلاق فى المجتمع والتعرف على الناس والتآخى بينهم والرحمة فيما بينهم فالكبير يرحم الصغير ويعطف عليه، والصغير يحترم الكبير ويوقره، والغني يجود على الفقير، وإذا وقع أحد فى مصيبة أو أصابته فاقة في ماله وجد من إخوانه من يواسيه ويعيده إلى حال كريمة. وبهذا يشعر الفرد أنه ليس بمعزل عن المجتمع، وإن لم يكن له أسرة في بيته فهو فرد من أسرة كبيرة، فإذا غاب عن المسجد سأل عنه إخوانه على الفور، فإن كان مريضا عادوه، وإن كان مسافرًا تفقدوا أسرته ورعوها كما لو كان موجودا.

والمسلم إن لم يكن يتعرف على جميع من يصلون معه فى الصلاة فيكفى شعوره بأن جميع من يصلون معه إخوة له فى الإيمان، وأن يشعر بأن هؤلاء ليسوا إلا نموذجاً واحداً لمجموعات كبيرة من إخوته فى الله فى سائر البقاع الإسلامية، يقول

تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (سورة الحجرات الاية ١٠)، ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ملازمة المسجد تعصم المسلم من الوقوع في الزلل والتعرض لوساوس الشيطان حيث يقول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى يرويه معاذ بن جبل رضى الله عنه: " إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشِّعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد"، يوجهنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى لزوم الجماعة والبعد عن التفرق ولزوم ما عليه عامة المسلمين، والبعد عن الشذوذ ولزوم المساجد حيث التربية الإسلامية التي تُذَكِّرُ المسلم بالآخرة وتبين له منزلة الدنيا من الآخرة.

وإن ركعة واحدة يؤديها المسلمون فى بيت من بيوت الله تعالى جنباً إلى جنب تغرس فى نفوسهم من حقائق الوحدة الإيمانية وموجبات الود والأخوة ما لا تفعله عشرات الكتب التى تدعوا إلى المساواة والوحدة بين الناس، أو العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، وعندما أتم النبى صلى الله عليه وسلم مسجده شد قلوب المسلمين فى ظله برباط الأخوة فى الله، فكان لهم المسجد خير ضمان لذلك، يقول تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً} (سورة الفتح آية ٢٩)، وعلى النقيض نرى المجتمعات البعيدة عن الإسلام "المجتمعات الغربية" تعيش في تفكك وتباعد حتى بين أفراد الأسرة الواحدة ولا عيش فيها إلا للقوي، أما الضعيف فإنه يهلك بين تنافس الأقوياء لانعدام الرحمة والتكافل بين أفراد المجتمع الواحد، وما ذلك إلا لأنها لم توفق إلى هذه المبادئ السامية التي وفق إليها المسلمون والتي توجد الإخاء والتكافل الاجتماعي. ولو نظرت إلى صف واحد من صفوف المصلين لراعك أن تجد الغنى فيه بجوار الفقير، والعالم بجوار الأمي، والشريف بجانب الوضيع، والحاكم بجوار المحكوم لا فرق بين واحد

وآخر، فكلهم سواسية أمام الله تعالى في قيامهم وركوعهم وقعودهم قبلتهم واحدة وكتابهم واحد وربهم واحد، يقفون خلف إمام واحد والتفاوت الفعلي بينهم يكن في إخلاص النية والقصد لله تعالى.

خامساً:- الدور السياسى للمسجد

لقد لعب المسجد دوراً هاماً من الناحية السياسية وإدارة شؤون الدولة فى المجالات الإدارية، حيث كان النبى صلى الله عليه وسلم ومنذ أن تأسست الدولة الإسلامية أصبح له مكاناً يدار من خلاله جميع شؤون البلاد والمسلمين، فكان مقر القيادة العسكرية والمكان الذى يلتقى فيه أفراد الجيوش قبل خروجها للفتوحات الإسلامية لتعم أرجاء الكون شرقاً وغرباً، وكانت تخطب فى المسجد الخطب الحامسة التى تحس على الجهاد وتبث فى نفوس الجند الثبات والقوة، ويدار منه الخطط الحربية لمواجهة أعداء الإسلام، فكان المسجد نقطة البداية لخروج الجيوش. وبعد انتهاء الحروب كان يقسم فيه الغنائم بما أمر الله تعالى به كل حسب نصيبه، ولا يجد أفضل من المسجد يعطى كل فرد حقه.

كما كانت له مكانة هامة للتشاور بين المسلمين فى كافة احتياجات المجتمع والله تعالى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فقال تعالى: {فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين} (سورة آل عمران آية ١٥٩) وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم». وقد قيل: إن الله أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده، وليستخرج بها منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي: من أمر الحروب، والأمور الجزئية، وغير ذلك.

وأيضاً انتخاب الولاة، حيث كان يقام فيه مجلس الحكم –ممثلة فى الخليفة– للتشاور وتعيين الولاة والقائمين على أعمالهم من معاونين ومساعدين واختيار أفضلهم لتوليتهم أمور الناس، وأيضاً يعد المسجد مكان لاستقبال الوفود فى عهد النبوة وبعدها، حيث كان المسجد هو المكان الكبير الذى يسع هذه الأعداد الكثيرة، وتدور المناقشات والمشاورات بين الوفود وأهل البلد داخله للتعرف على الإسلام.ولا يزال حتى اليوم توجد اسطوانة –عمود– داخل الروضة الشريفة بالمسجد النبوى الشريف اسمها "أسطوانة الوفود" كان النبى صلى الله عليه وسلم يلتقى بالوفود عندها ، وأيضاً توزع فيه الزكوات والصدقات على المحتاجين والفقراء، وحتى اليوم يعد المسجد هو باب الخير الذى يقصده كل محتاج ليسأل عن حاجته، وهو يعلم علم اليقين أن به كل الخير فبيت الله تعالى لا تنفذ خيراته، من قصده وجد متاعه فيه. أيضاً كان له مكاناً للدعوة العالمية الإسلامية فيتخرج منه الدعاة إلى الله تعالى ويمضون من خلاله إلى دعوة الناس وتبصيرهم فى هذا الدين، وتفقههم فى أمور دنياهم وحياتهم.

وكان هو مقر المحكمة التى تقضى بين الناس بالحق، ويقضى بين الخصومة بينهم ويأخذ فيه كل صاحب حق حقه.

كان المسجد فى عصر النبوة هو وسيلة الإعلام المركزية، حيث لا يمكن عزل هذه الوسيلة عن مسيرة الدعوة الإسلامية ذاتها، حيث ذودت هذه الوسيلة العقول والتفكير والتدبير ورتبت غرائز الناس فى الأرض وما ينفعهم فيها، ومختلف أوجه حياتهم بقواعد يوحى بها من عند الله تعالى وتكفل لهم نعم الآخرة. يقول الله تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (سورة الشعراء آية ٢١٤) تشير وقائع التاريخ إلى بداية لافتة للنظر فى وسائل الإعلام بالدعوة الإسلامية حيث صعد النبى صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا ينادى: يا بنى عدى، ولبطون قريش حتى اجتمعوا... قال فإنى نذير

لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا، فنزل قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ* مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} (سورة المسد آية٢/١).

سادساً:- المسجد والحرية الفكرية.

حين نستعرض فضل المسجد من الناحية العلمية التي كانت تُدرس فيه شتى العلوم والذى احتضن كثيراً من ألوانه، وأضاف إليه إضافات عظيمة، لولاه ما كانت هناك هذه الإضافات التي خدمت الإسلام على مر العصور من الفقه الديني العبادي، والفقه السياسي التشريعي، وتفسير القرآن الكريم وعلومه، علوم الحديث، واللغة العربية، والرياضيات والكمياء والطبيعة، كل هذه العلوم وجدت في المسجد فنمت وترعرعت في رحابه. كل هذه العلوم وغيرها قد أخذت مكانتها في المسجد على التدرج وليس جملة واحدة، فقد احتضن المسجد في أول نشأته العلوم الشرعية كتفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ثم تدرجت العلوم الأخرى بعد ذلك. هذا ولم تكن المساجد ذات صبغة واحدة بمعنى مثلاً لم تكن العلوم التي تدرس في المسجد النبوي في بداية الدولة الإسلامية كالعلوم التى تدرس فى مسجد الكوفة فى العراق وجامع عمرو بن العاص فى مصر، فقد اشتهر المسجد النبوى بتفسير القرآن وعلوم الحديث، بينما الثانى اشتهر النحو واللغة. فلو كانت كل المساجد صورة مكررة لكل مسجد لكبل ذلك المنهج العلمى الذى يدرسه، والمادة الفكرية التى يكب عليها، ولكنه عمل منذ أو نشأته على التخصص، سواء فى شكل حلقات متخصصة فى المسجد الواحد تدرس هى الآخرى نوعيات معينة من العلوم. إن الروح العلمية التى مُيز بها المسجد فى تلقى العلم بين أهله هى أن بابه مفتوحاً غير موصودة فى وجه أحد من الناس فاتحاً زراعيه لكل راغب وقاصد، هذا بخلاف المؤسسات الأخرى من معاهد وجامعات، يقبل كل الآراء والمناقشات وحرية الفكر والرأى، وتتجلى هذه فى المدارس الفقهية القديمة الأربعة –

الشافعية، الحنفية، المالكية، الحنبلية- فكان الإمام يعرض المسألة على الطلاب والجالسين معه يتدارسونها بينهم الكل يعرض فكره ورأيه فى شأن المسألة والكل لديه الحرية الفكرية فى إبداء رأيه، فإن كان رأيه صواب أخذ به الإمام وإن كان غير ذلك رده، وأيضاً بين العلماء بعضهم البعض كل منهم لديه الحرية الكاملة فى طرح القضايا بما يراه وقد يجد من يوافقه وقد لا يجد ذلك، كل ذلك داخل المدرسة التى أنتجت العلماء ألا وهو المسجد، فداخل المسجد الكل لديه الحرية فى إبداء الآراء التى تقبل المعارضة والموافقة فى جو يسوده آدب الحوار الذى كان يعلمنا إياه النبى صلى الله عليه وسلم داخل المسجد.

إن المسجد بهذه الحرية الفكرية الرائعة قد حقق لوناً من العلم الجامعى الأكاديمى المتسامح مازلنا ونحن فى القرن الحادى والعشرون ننشدها ونحث عليها فى مدارس العلم وجامعاته.

ومن أبرز المساجد الإسلامية التى أعطت للحركة العلمية عمرها كله فى خدمة العلم ونشر الثقافة الإسلامية على مر العصور: المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف ومسجد قباء، وجامع عمرو بن العاص، والجامع الأزهر الشريف فى مصر، وجامع الزيتونة بتونس، والمسجد الجامع بالقيروان.

سابعاً: دور المسجد في الدعوة الاسلامية

- التربية الإيمانية للمسجد:

"إن الوظيفة الأولى للمساجد هي أنها أماكن عبادة، فيها يؤدي المسلمون صلواتهم وجمعهم أو جماعاتهم، ويقرؤون القرآن ويذكرون الله.

وصدق الله "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين". (التوبة: ١٨)

وعمارة المساجد تعني تشييدها وإقامتها وبنيانها، وبالتالي عمارتها العبادة والاجتماع فيها للجماعة، وبقراءة القرآن والذكر، والاعتكاف وهذا هو المعنى الأهم في العمارة.

إن مهمة المساجد هي كما بين الله سبحانه وتعالى بقوله "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة". (النور: ٣٦).

ومن الآية نرى أن الله تعالى أذن أن ترفع بيوته بتعظيمها ورفع شأنها بالتقديس والتطهير وإقامة الشعائر الدينية فيها بعد رفع قواعدها وبنيانها.

وذكر الله فيها "عام" يشمل الصلاة نفسها والأذان وقراءة القرآن والتسبيح والدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

ولذا حث الدين الإسلامي على ارتياد المساجد وحضور الجماعة فجعل ممن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله – من كان قلبه معلق بالمساجد أي، بالتردد عليها وإقامة الصلاة فيها وعمارتها.

وروى مسلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح".

كل هذا لما فيه من اتصال العبد المؤمن بخالقه جل وعلا ولما فيه من القوة الروحية التي يفتقر إليها الإنسان، واستمرار الصلاة في المسجد إمداد للجماعة الإسلامية بالقوى التي لابد منها لإصلاح المجتمع.

"إلى جانب هذا ما تشتمل عليه الصلاة من أسرار في تكرارها وحكم بالغة حيث كررها خمس مرات يومياً لتكون "حماماً" روحياً للمسلم يتطهر بها من غفلات قلبه وأدران خطاياه".

وليس أثر الصلوات مقصوراً على جانب واحد فقط بل هناك عدة جوانب منها النفسي، والجسمي، والعقلي.

فمناجاة العبد به وتذلله إليه واعترافه بخطاياه وطلب العفو والمغفرة وترك الدنيا جانباً عند الدخول إلى المسجد أمور تدخل إلى النفس طمأنينة وراحة تختل فيها وتريحها من عناء التفكير في الخطيئة والذنب.

"ومفتاح الصلاة الطهور : " يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا..

وهكذا فإن اشتراط التطهر للصلاة في الثوب والبدن والمكان أمر لا تتم الصلاة إلا به، وفي هذا ما فيه من النظافة التي تجلب الصحة للإنسان.

"ولا يأمر القرآن بمجرد الصلاة، ولكنه يأمر بإقامتها وتعبير الإقامة له مدلول كبير، فيه حضور القلب وإعمال الفكر وصفاء الروح وخشوع الجوارح وطهارة النفس

والبدن، وهو الجو الذي يتيح للقرآن أن يصل إلى غايته، فيتسامى بالنفس فوق دوافع الجسد، ويحررها من أسرار شهواتها ويطهرها من الإثم والعدوان، ويسد فيها منافذ الشيطان ويكيف سلكوها ويطبعه بطابع القرآن

إن إبراز ملامح التفاف المسلمين حول المقاصد الإسلامية ووحدة العقيدة والكلمة هو هذا التوارد على الصلوات المكتوبة جماعة في المسجد حيث تترسخ العقيدة الإسلامية في القلوب وتتعمق روح التعاون وتقوى عرى التكافل في حياة المسلمين، وتنبثق الأخلاق الكريمة وتنتشر، بل وتتزايد في ظل الإخاء والتسامح والتساوي الذي يظهر أنه لا عنصرية ولا طبقية في الإسلام بل الجميع سواسية عند الله لا تفريق بينهم إلا بالتقوى. " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (الحجرات : آية ١٣١).

- **التربية التثقيفية:**

كان المسجد أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم، وأصبح كثير من المساجد مراكز هامة للحركة العلمية، وانصرف بعض فقراء المسلمين لطلب العلم في المسجد النبوي الشريف حيث بنى الرسول الصفة " وهي مكان مظلل في شمالي المسجد يأوي إليه فقراء المسلمين الذين حبسوا أنفسهم لطلب العلم".

"ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس في المسجد النبوي بالمدينة لتعليم المسلمين أمور دينهم وتبصيرهم عاقبة أمرهم حتى كان مجلسه تنافساً بين الصحابة رضوان الله عليهم، كلهم يبغي السبق إلى حضور هذا المجلس العلمي والظفر بالإنصات إلى الدروس النبوية، وكان عليه السلام إذا صلى الصبح انصرف إلى

موضوع الأسطوانة المسماة اليوم أسطوانة التوبة إشارة إلى توبة أبي لبابة حيث يتحلق حوله أصحابه حلقاً بعضها دون بعض وكان يحدثهم إلى طلوع الشمس.

كما كان الإمام مالك بن أنس يتبع خطى الرسول صلى الله عليه وسلم.

"لقد ورد أنه كان يجلس في أول انتصابه للعلم بالمسجد"

في المسجد النبوي الأسطوانة التي كان يجلس إليها الرسول صلى الله عليه وسلم هذا إلى جانب غيره من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين جلسوا للتعلم في المسجد، ومن جاء بعدهم حتى إنشاء المدارس.

"وكان من الطبيعي بالنسبة لتطور مفهوم العلم في الإسلام أن تنشأ البذرة الأولى دينية محضة، فالناس بحاجة إلى تفهم الدين الجديد ومعرفة قواعده وأصوله، وفهم أهدافه ومراميه، ومن ثم فالمكان المناسب لذلك هو المسجد"

"فكان المسجد أول مدرسة جماعية منظمة عرفها العرب لتعليم الكبار والصغار ولتربية الرجال والنساء.

ومن هنا نرى أن المسجد لم يكن للصلاة فقط بل كان إلى جانب أداء الصلاة مكاناً للتعليم و مدارسة القرآن الكريم وتفهم معانيه على يدي رسول الله عليه السلام وأصحابه الذين تعهدوا هذا العمل النبيل من بعده وحرصوا على استمرار رسالة المسجد العلمية ابتغاء وجه الله واتباعاً لسنة الرسول المعلم والمربي صلى الله عليه وسلم.

"ومن الثابت أن أهل العلم في القرون الأولى لم يتقاضوا رواتب من الحكومات فيما عدا ما نسمع عنه من الجوائز والصلات بين الحين والحين، وهذه ليست رواتب،

وقد اعتمد العلماء على أنفسهم وعلى الجماعة في شئون معاشهم ولا شك في أن الجماعة تكفلت بمعاش المعلمين"

" وأشهر من امتاز بالعلم وتخصص للحياة العلمية وكثر بها أصحابه وتلاميذه : زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر، وأخرج هؤلاء سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير بن العوام، ومن بعدهما ابن شهاب الزهري القرشي وغيره كثيرون"

ولقد كان من الطبيعي أن يكون المسجد هو مقر تعليم قراءة القرآن والحديث الشريف والتفسير وأوامر الدين ومن ينوب المسلمين نظراً لمكانة المسجد السامية التي أوجدها الإسلام. لذا فإنه لا يكاد يوجد مسجد يخلو من حلقات العلم والتعليم.

"وفي صحيفة همام بن منية :"أن عدد المساجد التي بنيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة مساجد، وأن أكثرها اتخذ مدارس للتعليم.

"وكان الحج يجمع المئات في أركان المسجد الحرام يجلسون للفتاوى بتدريس العلوم، وكذلك فعل التابعون من كبار الفقهاء وأصحاب الحديث ورجال التفسير حتى ذكر أن المسجد الحرام كان يغص في عهد الأمويين ....، والعباسيين من بعدهم بحلقات العلم، هذا يفسر القرآن، وذاك يروي ... الحديث متصلاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك يفضل مسائل الفقه أو غير بعيد منه إمام في العربية والشعر يتلو الشواهد ليثبت الحرف الأصيل بالكلمة الفصيحة مستنداً إلى آية من كتاب الله أو رواية عن رسول الله أو منقول من عربي أصيل".

ويبدو لنا أن طلاب هذه الحلقات العلمية هم خليط من أفراد المجتمع الإسلامي لا طبقية بينهم ولا تفاضل، ولا يرد أحد عن الاستماع إلى ما يدور أو يدرس، ولا يمنع أحد من المناقشة وإبداء الرأي و الاستفسار عما خفي أو جهل.

"وأي جامعة شعبية كالمسجد تسع الجميع في رحابها، في الليل والنهار في الصيف والشتاء، ولا ترد طالباً شيخاً كان أو صبياً، ولا تشترط رسوماً ولا تأميناً، ولا تضع قيوداً ولا عراقيل".

ولم تكن مدرسة المسجد قاصرة على تعليم الفقه وتفسير القرآن الكريم ورواية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وشرحها وتدارس بعض العلوم الإسلامية، بل درست فيه العلوم والمعارف الأخرى كعلم الكلام وغيره.

"ومع مرور الأيام كانت تعقد في المسجد حلقات لدراسة الكيمياء والفيزياء والهندسة والفلك والطب وغيرها من العلوم ما تنهض به الجامعات الآن"

وغني عن البيان ذلك الدور الكبير الذي قام به المسجد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل خدمة العلم والمتعلمين من أبناء الأمة الإسلامية مما يجعل الإنسان المسلم يفخر به خاصة في الوقت الذي لم تكن فيه مدارس نظامية ولم يكن للدولة دخل في العلوم والمعارف التي تدرس – جزى الله أهل العلم من علماء وفقهاء وأئمة خير الجزاء لما قاموا به من عمل جليل دونماً يسألون عن ذلك من الناس أجراً أو من الدولة مرتباً.

- **التربية الاجتماعية:**

ينفرد المجتمع الإسلامي بنظامه الخاص – والعلة الرئيسية هي – "أنه مجتمع من صنع شريعة خاصة، جاءت من لدن إله، فهذه الشريعة التي وجدت كاملة منذ نشأتها غير مدرجة تدريجاً تاريخياً ... هذه الشريعة هي التي أوجدت المجتمع وإقامته على أسسه التي أرادها الله لعباده لا التي أرادها بعض هؤلاء العباد لبعض، وفي ظل هذه الشريعة تم نمو الجماعة الإسلامية. ووجدت ارتباطات العمل والإنتاج والحكم، وقواعد الآداب الفردية والاجتماعية ومبادئ السلوك وقوانين التعامل ... ووسائل مقومات المجتمع الخاصة التي تحدد نوعه وترسم له طريق النمو والتطور".

وحري بالمسجد أن يقوم بدوره في بناء هذا المجتمع لأنه مركز التوجيه والإشعاع ومقر التخطيط لبناء المجتمع ومنبر الهداية والإرشاد لجميع من دخله من المسلمين دون تفريق بينهم.

إن من أول ما دعا إليه الإسلام عدم التفرقة بين المسلمين فقيرهم وغنيهم، عربيتهم وعجميتهم، ولم يفضل أحداً على أحد إلا بقدر تقوى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

وما من مكان يتجلى فيه هذا القانون الاجتماعي بصورة جلية مثل المسجد إذ يقف الجميع في صف واحد في الصلاة وقد ذابت وانصهرت جميع الفوارق التي تميز بعضهم عن بعض.

إن وحدة المجتمع الإسلامي وتكاتفه وقوته مستمدة من أمور منها عدم التفريق بين الأجناس والطبقات والأعمار، لذا أصبح هذا المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ليس هذا في الصلاة فحسب بل حتى في المعاملات الشرعية والشخصية، والاجتماعية في الحياة.

إن المسجد هو المكان الطبيعي الذي يجمع المسلمين لغرض واحد وبنية خالصة خلف إمام واحد لا يتخلفون عليه، هذا الاجتماع الذي يوحي بالتآلف والوحدة، هو السبيل إلى السيطرة على طبائع النفوس ونزعاتها فبداخل المسجد يتربى المسلم على تطهر نفسه وتصحيح عقيدته في القرب من ربه، سراً وعلانية، وفي داخل المسجد يتربى المسلم على الاتصال بإخوانه المسلمين والسؤال عنهم... وتقوية الروابط الاجتماعية بينه وبينهم مما يجعله يهتم بجميع شؤونهم، وفي اجتماع المسلمين في المسجد يشعر الجميع بالقوة والانتماء للجماعة مما يجعل الفرد منهم يشعر بالطمأنينة ويحس بالراحة النفسية والكرامة والأمان.

ويتجسد خارج المسجد هذا الشعور الاجتماعي في تعامل المسلمين وتفاعلهم في شكل أمة واحدة داخل الفرد الواحد بحكم ما اكتسبوه من القيم والفضائل في المسجد.

إن اعتياد المسجد والتردد عليه ينعكس على سلوك الفرد في مجتمعه وبذلك يحمل الفرد المسلم في دخيلة نفسه روح الجماعة التي يقف معها بين يدي الله مما يجعله يسعى إلى الحفاظ على كيان المجتمع الذي هو جزء منه. وما الأمة إلا تلك المجتمعات المكونة من الأفراد.

والأمة الإسلامية هي الجديرة بأن تسمى أمة لما يربط بين أفرادها بعضهم البعض ومجتمعاتها بعضها البعض من الروابط والقوى التي منشأها الدين الإسلامي.

"والأمة هي المجموعة من الناس تربط بينها آصرة العقيدة وهي جنسيتها وإلا فلا أمة، لأنه ليست هناك آصرة تجمعها، والأرض، والجنس، واللغة والنسب، والمصالح المادية القريبة لا تكفي واحدة منها، ولا تكفي كلها لتكوين أمة إلا أن تربط بينها رابطة العقيدة".

وليس أدل على هذا القول من قوله تعالى" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" (آل عمران: آية١١٠).

وقوله تعالى: " إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون".(الأنبياء: آية٩٢).

"ولم يكن المسجد مقصوراً على الذين تجب عليهم الصلاة شرعاً من الرجال بل لقد حرص الإسلام على رعاية الأطفال، فلقد كانوا يأتون المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يرعى شئونهم ويتلطف بهم

وكان يجوز في صلاته (أي يقصر) إذا سمع بكاء الصبيان "فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه". (رواه البخاري ومسلم).

ومن هنا نرى جواز حضور النساء الصلاة في المسجد والجلوس لسماع الخطب والوعظ والإرشاد وتلقي علوم الدين وتعاليمه.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها" (أخرجه الشيخان).

كما خصص الرسول للنساء دروساً خاصة وخاصة في العيدين حيث يكون جزء من الخطبة موجهاً لوعظ النساء وإرشادهن وذلك لاستحباب خروجهن مع الأطفال في صلاة العيد.

ولقد جعل النبي المسجد بمثابة مكتب للخدمة الاجتماعية وجميع التبرعات ومعاونة المحتاجين (إلى جانب أداء الصلاة فيه).

"حدث أن وفد عليه قوم عراة مجتابي النمار – أو القباء – متقلدي السيوف فتعمر وجهه – أي تغير – لما رأى ما بهم من الفاقة، فأمر بلال فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب في الناس حاثاً لهم على رعاية الرحم وتقدير الخير، فانهالت التبرعات من الدنانير والثياب والبر والتمر حتى تكون كومان عظيمان من الطعام والثياب، فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم و أعطى القوم حتى سروا

ولئن كانت المؤسسات الاجتماعية "اليوم" تبذل قصارى جهدها للاهتمام بالفئات التي تحتاج إلى الرعاية والعناية الاجتماعية من المعوقين والفقراء والمعوزين والمرضى والغرباء واليتامى ممثلة في دور الرعاية الاجتماعية فإننا نرى المسجد النبوي قبيل خمسة عشر قرناً من الزمان كان يقوم بهذا الدور على أكمل وجه، كما كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم مقام ... الجمعيات الخيرية في جمع الزكاة والصدقات من الموسرين والمنفقين وتوزيعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم من مصارف الزكاة.

ولقد وجدت في المسجد وفي مؤخرته على وجه التحديد "الصفة" يأوى إليها الغرباء والمعدمون ويجدون فيها الطعام والشراب والكساء والمبيت كما كانت الصفة هذه مكاناً لإقامة الذين حبسوا أنفسهم لطلب العلم|.

"والصفة مكان مظلل في شمالي المسجد يأوى إليه فقراء المسلمين

ويبدو لنا من الحادثة السابقة مدى تأثير الخطبة التي ألقاها الرسول في المسلمين والتي يهيب فيها بالمسلمين التبرع ومساعدة المحتاجين، ولم يتأخر أحد في تقديم ما تجود به نفسه استجابة لمطلب الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولم تكن هذه الخطب إلا واحدة من خطب مثيلة لها في التأثير والاستجابة في مختلف شئون الحياة الإجتماعية والدينية والأخلاقية ومن هذا نجد مبدأ التكافل الاجتماعي يتخذ طريقاً له في المجتمع الإسلامي من خلال المنبر بشكل لا يتحقق فيها لو كان في مكان غير المسجد.

ولهذا بقيت المجتمعات المسلمة قوية متماسكة في ظل الظروف حتى بعد أن اندثرت الدولة وانهارت النظم الإدارية التي كانت تنظم للناس أمور معاشهم لأن كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي يحمل في أعماق روحه روح الجماعة التي تفرض عليه مد يد العون لأخيه المسلم دون أن يسأله من هو أو من أين أو ما إلى ذلك، بل يسار إلى تفريج كربته لأنه يعلم أنه يدين بعقيدة التوحيد مثله سواء بسواء. ومن هنا جاءت عظمة هذا الدور الذي قام به المسجد.

"إن النظام الاجتماعي الإسلامي قد انبثق من العقيدة الإسلامية وتكيف وجوده بالشريعة الإسلامية، يجب أن يظل دائماً خاضعاً في نموه وتجديده – للأصل الذي انبثق منه وللشريعة التي كيفت وجوده، يجب أن تكون الشريعة الإسلامية هي المسيطرة على كل تطور في نظام المجتمع الإسلامي"

وما دام المجتمع يؤمن بعقيدة التوحيد ولا يرضى غيرها – بل جعلها نبراس حياته العامة والخاصة واتسم بها سلوك الفرد والجماعة فإن عقيدة التوحيد هذه –بكل إشعاعاتها– تسيطر سيطرة تامة على كل جوانب النظام الاجتماعي الإسلامي، وتحدد مقوماته وخصائصه وآدابه ومعاملاته وحقوقه وواجباته والعلاقات والارتباطات في هذا النظام بكل صوره .... وأشكاله.

من هذا كله يتضح لنا الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به المسجد باعتباره جزءاً من دوره التربوي في المجتمع الإسلامي.

كما يتضح أن هذا الدور – الدور الاجتماعي – سار جنباً إلى جنب وباتزان بديع مع الأدوار التربوية الأخرى التي كان يقوم بها المسجد في المجتمع الإسلامي.

- **التربية العسكرية:**

بعد أن ذكرنا ما يقوم به المسجد من دور في التعليم وعقد حلقات العلم وذكرنا أيضاً أثره في بناء المجتمع الإسلامي وتوجيه هذا المجتمع وإرشاده هذا إلى جانب الدور الديني من إقامة الصلاة وتعليم القرآن الكريم بعد هذا كله نأتي إلى دور مهم جداً قام به المسجد، هذا الدور هو الدور العسكري "أو السياسي والحربي" حيث أدى المسجد دوراً إيجابيا وفعالاً في هذا المجال في الوقت الذي لم يكن فيه تنظيم عسكري يضم الجيش أو الشرطة وما إلى ذلك مما ظهر بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل ما هنالك أن تحدد مسؤولية قيادة الجيش في رجل من المسلمين ويخرج المسلمون معه ملبين داعين للجهاد في سبيل الله.

ولقد كان المسجد النكنة الأولى في الإسلام، ومقر القيادة العسكرية والحربية آنذاك.

فقد اتخذ النبي من مسجده مقراً للقيادة، يعد فيه الخطط ويعقد مجالس الجهاد، ويصدر الأوامر وينصت إلى آراء المستشارين، وكان يحشد أصحابه في المسجد، ويشحنهم بطاقات مادية ومعنوية ويحرض المؤمنين على الثبات وينهاهم عن الفرار، ويحذرهم من الفرقة والنزاع، ويأمرهم بالطاعة والضبط ويشيع فيهم الألفة والنظام.

وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد وتعقد – السرايات والأعلام، والبنود في المسجد للمجاهدين.

"وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر، ويعود المجاهدون من الغزوات والسرايا إلى المسجد وتضمد جروح المصابين، ويتعلم المسلمون أحكام الجهاد في المسجد".

ولم يكن دور المسجد مقصوراً على إعداد الجيش وتسييره وعقد الألوية والقيود على القادة. بل كان مكان استقبال الوفود التي تفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن من شئون الدولة أو إعلان الإسلام، أو طلب عقد معاهدة أو معونة.

"وكان المسجد أشبه بقاعة الاستقبال الرسمية، مفتوحة ومهيأة لجميع الوافدين. وقد استقبل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران

كما ساهم المسجد في بناء الجيش الإسلامي وعقد الألوية وحث المسلمين على الصبر وملاقاة العدو والحرص على إعلاء كلمة التوحيد، كذلك كان مركزاً ومقراً لإدارة

شئون الدولة أو الولاية، وكان المنبر أشبه بالعرش، يلقى منه بيان الخليفة لسياسة الدولة ويلقي فيه خطبته الأولى ويبين فيها سياسته في الحكم.

"وفي المسجد تذاع القرارات الهامة التي تتعلق بالصالح العام ويستقبل الخليفة السفراء ويدير شئون الدولة".

ففي إذاعة القرار في المسجد ما فيه من الإذعان والطاعة لاتباعها لما للمسجد من مكانة سامية وقوية في نفوس المسلمين.

ومن هنا نرى أن الخطبة التي كانت تلقى في الجمع وفي مناسبات أخرى كتولي الخليفة أمر المسلمين كان لها الأثر الكبير في نفوس المسلمين لذا فإن أكثر الخطب وخاصة خطب الولاة وقبلهم الخلفاء الراشدون كانت تلقى في المسجد نظراً لأهمية هذا الأمر، واختيار المسجد لإلقاء الخطبة فيه ضمان للنتائج المترتبة على الخطبة والمتعلقة بما فيها من الأوامر والنواهي والتوجيهات.

"وخاطب أبو بكر الناس في المسجد، وأمرهم بالتجهز للغزو، وأن يخرج كل من هو من جيش أسامة إلى معسكره بـ(الجرف) فخرجوا كما أمرهم".).

إن الأثر الذي يتركه المسجد في نفوس المسلمين عظيم وكبير سواء كان أثراً دينياً أو اجتماعياً أو علمياً أو سياسياً أو خلقياً أو غير ذلك، وليس أدل على هذا القول من استمرار المسجد كمركز إشعاع ديني وروحي ونفسي على الرغم من المحن التي تعرض لها المسلمون في مختلف العصور.

"لما تولى بنو أمية الخلافة، أصبح مقر الخلفاء في مكان سكناهم وبقي المسجد مركز الإشعاع الروحي الذي يؤجج روح الجهاد".(المرجع السابق، ص١٤٠).

ولقد أحس القادة المسلمون بمكانة المسجد في الإسلام وخاصة من الناحية العسكرية بل ربما اعتبره البعض رمزاً لسيادة الإسلام في البلدان التي ضمت المسلمين حيث كانوا يشرعون في بناء المسجد في كل بلد يفتحونها ليكون مقراً للدولة الإسلامية الجديدة ومنطلقاً لتعليم الدين الإسلامي.

"وإنشاء المسجد ظاهرة معروفة في خطط القواعد الإسلامية الأولى ولم يكن اتباعها وليد الصدفة بل كان أثراً من آثار السياسة الموضوعة لإنشاء الأمصار الإسلامية في البلاد المفتوحة وهي سياسة ترجع إلى عصر عمر ذاته". حيث أمر أن يتخذ في كل بلد يُفْتَحُ مسجد للجماعة وللقبائل مساجد.

"وكما أن العواصم الإسلامية الجديدة تعتبر رمزاً لظفر الإسلام، فكذلك المساجد الجامعة كانت تعتبر رمزاً لسيادة الإسلام الروحية ومبدأ للدين الجديد والرسالة الجديدة".

- **التربية الصحية :**

لقد اعتنى الإسلام بالمسلمين من جميع نواحي الشخصية الإسلامية الروحية والعقلية والجسدية، ولقد ظهرت عنايته هذه بتوجيهاته وأهدافه التربوية التي اتصفت بالشمولية والتكامل والتوازن.

فمن الأمور التي اهتم بها الدين الإسلامي "النظافة" في الملبس والبدن والمكان، وفي ذلك ما فيه من الصحة الجسدية من الأمراض والأوبئة وفيه من الصحة النفسية ما يجلب للنفس الراحة والطمأنينة والهدوء.

وفي النظافة استئناس الآخرين وعدم نفورهم لأن النفس تنفر من الأقذار والأدران أشد من نفورها من أي شيء آخر مهما عظم.

"ولقد اعتبر الإسلام النظافة من الإيمان. روي قول الرسول لأمته: "تنظفوا فإن الإسلام نظيف

وأثنى القرآن على أهل مسجد قباء والمسجد النبوي بحرصهم على التنظف" لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه. فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين".(التوبة : آية ١٠٨).

والصلاة ليست عبادة روحية فحسب، إنها نظافة وتطهر، وتزين وتجمل، اشترط الله لها تطهر الثوب والبدن والمكان من كل خبث مستقذر أوجب التطهر بالغسل والوضوء. قال تعالى :" يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد".(الأعراف : آية ٣١). والمقصود عند تهيؤكم للصلاة لا بد أن تتزينوا.

ومن السنة أن يغتسل المصلي ويتطيب ويلبس أحسن ما عنده ولا يمضي إلى المسجد في ثياب مهنته، خاصة إذا كانت مهنته تترك أثراً في الثياب.

"كما استحب للمصلي أن يتسوك عند كل صلاة: " السواك مطهرة للفم مرضاة للرب"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي".(رواه ابن ماجه).

ويبدو لنا حرص الإسلام على استخدام السواك وذلك لما فيه من الفائدة الصحية للبدن عن طريق تنظيف الفم والأسنان.

"ولو نظرنا إلى (السواك) من الناحية الطبية لوجدنا هذا النبات يتكون كيميائياً من ألياف السليلوز وبعض الزيوت الطيارة، وبه راتنج عطري وأملاح معدنية أهمها: كلوريد الصوديوم، وكلوريد البوتاسيوم واكسالات الجير

والنبات المقصود هنا النبات الذي يؤخذ منه السواك وهو ما يعرف بشجر "الأراك" وله ألياف دقيقة.

هذه الفوائد الصحية من آثار الوضوء والسواك تعود على الجسد بالصحة أو الوقاية من المرض.

وهناك جانب نفسي يعود على النفس من التردد على المسجد وفي داخل المسجد وقيل هذا أثناء تأهب المصلي للذهاب إلى المسجد وفي الصلاة راحة نفسية عظيمة مما يختلج في النفس من الهموم.

"ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة

والصلاة التي تذهب الهم والحزن ويجد فيها المصلي الراحة النفسية التي ينشدها من همومه وضيق صدره إنما هي الصلاة التي تتم بخشوع وتضرع إلى الله بعد

اكتمال شروطها وواجباتها حتى يصل العبد إلى درجة الاتصال، بخالقه، قال تعالى: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب". (الرعد : آية ٢٨).

وذكر الله له أثر كبير في تربية النفس وتعديل السلوك، فالذي – يذكر الله ويتصور عظمته وجلاله يخشع قلبه ويحسب لملاقاته كل حساب فلا يصدر عنه من الأفعال إلا كل خير، ومن ذلك لا يتسرب إلى نفسه القلق والاكتئاب وما شابه ذلك من الأمراض النفسية.

ويظهر لنا مما سبق مدى اهتمام الإسلام بالصحة الجسدية والنفسية من خلال الصلاة، ولذا فقد حرص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أداء الصلاة كما أرادها الإسلام لما وجدوه من الفائدة الكبرى في صحة أجسادهم وراحة نفسياتهم من أدائهم لها.

ومن ذلك يتبين الدور الصحي الذي يؤديه المسجد في المجتمع الإسلامي كما كان يقوم على عهد رسول الله – مقام المستشفيات العسكرية التي يمرض فيها الجرحى والمرضى من آثار المعارك والغزوات التي كانت تدور بين المسلمين وأعدائهم.

"فقد كان بالمسجد خيمة السيدة رفيدة الصحابية التي كانت تقوم بتمريض الجرحى وتضميد جروحهم ، وأيضاً خيمة لبنى غفار، وكذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن تضرب خيمة بالمسجد لسيدنا سعد بن معاذ لما أصيب في "أكحله" يوم الخندق ليكون قريباً منه فيرعاه ويعوده".

هكذا كان المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقراً لتمريض أصحابه إضافة إلى الجانب الذي ذكرنا – جانب الصحة الجسدية والنفسية التي تعود

على المسلم من أدائه للصلاة والتجهيز لها من غسل ولبس وطهارة وسواك ومناجاة للرب واعتراف بالذنوب والخطايا وطلب العفو والمغفرة وتضرع بقبول التوبة ومعاهدة على الإخلاص في العمل وعدم العودة إلى ارتكاب الخطأ واقتراف الذنب.

التربية الإعلامية للمسجد:

إن المجتمع الإسلامي – وهو في طور التكوين – في حاجة إلى معرفة كثير من الحقائق والأمور التي تكشف لأفراده حقيقة هذا التكوين.

وإذا علمنا أن الرسالة المحمدية رسمت الطريق لقيام هذا المجتمع – الإسلامي – وأن الرسول صلى الله عليه وسلم يستقبل الأوامر من ربه عن طريق الوحي، إذا علمنا هذا يتبين لنا أهمية الوسيلة التي تصل بها هذه الأوامر إلى الناس في ذلك المجتمع. ولن تكون هناك وسيلة أقوى وأنجح من المسجد ... إذ أن المسلم يرتاد المسجد في اليوم والليلة خمس مرات، ويجتمع المسلمون جميعاً في المسجد يوم الجمعة وفي المسجد تملى الأوامر وتبلغ إلى المسلمين على هيئة آيات يتلوها الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحاديث يبلغها إليهم، أو توجيهات وإرشاد يشير إليها صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدي هذا الدور الإعلامي إلى جانب إقامة الصلاة فيه، وإلى جانب الأدوار التربوية الأخرى سواء الاجتماعي أو التعليمي أو الصحي أو العسكري أو الخلقي.

"وإذا كنا نقول اليوم –إن أبرز مجموعة الأهداف التي تتجه إليها وسائل الإعلام– مقروءة أو مسموعة أو مرئية هي:

*** الإعلام أو الأخبار.**

*** التوجيه والإرشاد.**

*** التفسير والإيضاح.**

*** التثقيف.**

فمن الحق أن يقال إن الأحاديث النبوية الكريمة، وإن الخطب قد أتت على هذه الأهداف "الجادة" جميعها.. بحيث تحققت هذه الأغراض تماماً من خلال الوسيلتين".- (ويقصد بها الأحاديث النبوية والخطب).

ونظراً لأنه لا توجد وسائل إعلام -كالتي تعرف اليوم- فلقد أدى المسجد دوراً إعلاميا كبيراً، إذ لا يوجد مكان يجتمع فيه الناس اجتماعاً موقوتاً كالمسجد.

ولقد ألف المجتمع الإسلامي -آنذاك- تلقي الأوامر والأخبار والتوجيهات في المسجد سواء قبل الصلاة أو بعدها مباشرة، كما ألف النداء في وقت غير وقت الصلاة إما لأهمية الأمر أو خطورته.

"وكان كلما جد أمر يستدعي اطلاع المجتمع عليه أو أخذ رأيه فيه نودي أن: الصلاة جامعة، الصلاة جامعة، فيجتمع المسلمون بالمسجد ويتم الغرض الذي نودي على الناس بالاجتماع من أجله، إن إعلاماً أو توجيهاً أو شورى، في المسجد نفسه". "وتذاع الأنباء التي تهم الأمة".

"ومن دور المسجد الإعلامي إعلان النكاح فيه كما أُثر ذلك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يعقدون فيه عقود زواجهم امتثالاً للحديث الشريف: (أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدف".

ولا يفوتنا أن نوضح أن إعلان الحدود في ساحة المسجد أو بالقرب منه، بعد الصلاة، يعتبر من الإعلام وكذلك القول في الصلاة على الميت في المسجد حيث إنه إعلام بوفاة أحد.

وهذا دور إعلامي هام، وتربوي له أكبر الأثر في حياة المجتمع لما في ذلك من التذكير والاتعاظ، والتشهير بالذي أقيم عليه الحد ليرتدع من رآه أو سمع به.

وهكذا يتبين لنا الدور الإعلامي الذي كان يؤديه المسجد في المجتمع الإسلامي الأول. وهو دور له أهميته وأثره في بناء المجتمع الإسلامي على الخطة والقواعد التي رسمتها التربية الإسلامية المستمدة أهدافها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

- **التربية الجسمية والجمالية:**

فالصلاة بحركاتها وما يسبقها من غسل ووضوء وطهارة للثوب والمكان، تحفظ للإنسان صحته، وتعمل على سلامة بنيته، فقد سبق هذا المنهج النظم الصحية في العناية بالنفس الإنسانية، ووجوب المحافظة عليها لوقايتها من الأمراض، وهذا ما يسمى حديثاً "بالطب الوقائي"، ومعالجتها مما يصيبها من أمراض، وهذا ما يسمى "بالطب العلاجي". والصلاة ذات طابع جمالي سواء في حركاتها أو سكناتها أو في الاستعداد لها. قال تعالى: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد..." (الأعراف: ٣١).

بمعنى أن المسلم يجب أن يتهيأ لأداء هذه العبادة، ،أن يتزين عند كل صلاة. ولا سيما يوم الجمعة، ويوم العيد، والطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك ومن أفضل اللباس البياض.

وهكذا كان المسجد ومازال المؤسسة التربوية التي تقوم بإعداد المسلم الإعداد المتكامل، الذي يساعد على التكيف مع الحياة، من خلال تكيفه مع نفسه ومع مجتمعه، وفق استعداداته وقدراته، ودون تقيد بسن معين أو مستوى معرفي محدد، وبذلك يحقق المسجد الأبعاد الثلاثة التي تهدف التربية إلى تحقيقها:

- **البعد النفسي:** وهو التعلم وفق القدرات والاستعدادات.

- **البعد الاجتماعي:** وهو إعداد الفرد للمشاركة وبذل الجهد في الحياة العامة.

- **والبعد التكاملي:** أي التكامل في الإعداد حيث إن الإسلام ينظر إلى الفرد على أنه وحدة متكاملة.

لذلك جمعت التربية الإسلامية بين جميع هذه الجوانب (الجسمية، والعقلية، والروحية)، وقام المسجد بتنمية جميع هذه الجوانب، وتخرج من تلك المدرسة الإسلامية الكثير ، فتاريخ المسجد في الإسلام حافل بأعظم ما في التراث الحضاري الإسلامي من خصائص وقيم مازالت تبهر العالم حتى اليوم.

ومن هنا فإن الأثر التربوي للمسجد يتجلى في الجانب الروحي، والجانب الخلقي، والجانب العقلي، والجانب العلمي، والسياسي، والجانب الجمالي، والاجتماعي، بالإضافة إلى توثيق الصلة الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم.

خاتمة

يمثل المسجد أهميه كبيرة في الإسلام، وله منزلته العظيمة في المجتمع المسلم، وقد نوّه القرآن الكريم بالمسجد ومكانته، والمثوبة الكبرى للمشتغلين بعمارته، فقال عزّ وجل: "فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ والآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وأقام الصَّلاةِ " وقال عز من قائل: "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِر". وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها". المسجد بوتقة لا بد منها، لتتصهر فيها النفوس، وتتجرد من علائق الدنيا، وفارق الرتب والمناصب، وحواجز الكبر والأنانية، وسكرة الشهوات والأهواء، ثم تتلاقى في ساحة العبودية الصادقة لله ـ عز وجل ـ بصدق وإخلاص. إن ركعة واحدة يؤديها المسلمون في بيت من بيوت الله، جنبا إلى جنب، تغرس في نفوسهم من حقائق المساواة الإنسانية وموجبات الود والأخوة، ما لا تفعله عشرات من الكتب التي تدعو إلى المساواة وتتحدث عن فلسفة الإنسان المثالي؛ لهذا وغيره بدأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إقامة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة بعمارة المسجد، معلنا بذلك أنه الركن الأول والدعامة الأولى لقيام هذا المجتمع، حتى إذا تمت عمارة المسجد وأقبل المسلمون إليه، شد رسول ـ الله صلى عليه وسلم ـ قلوب المسلمين في ظله، بنياط الأخوة في الله، فكان لهم من المسجد خير ضمانة لذلك، وأعظم ملاذ من مشاغل الدنيا وفتن الشهوات والأهواء. والمسجد يمتلك محبة المسلمين الذين يحرصون على الوجود فيه خمس مرات في اليوم والليلة امتثالا لأمر الله . سبحانه وتعالى . واتباعا لسنة نبيه . صلى الله عليه وسلم، ولهذا فإن العلاقات الاجتماعية تزداد محبة وأخوة بين مرتادي المساجد، ونجد أن بعض الناس تبدأ علاقتهم من المسجد ثم تستمر تواصلا

ومحبة مع استمرارية الأيام، فتصبح المحبة عظيمة وقوية على طاعة الله ـ سبحانه وتعالى، وتتوطد أخوة المسلمين بسبب حرصهم على طاعة ربهم فتكون العلاقة لله وفي الله، نسأل الله أن يديم الود بين المسلمين ويأخذ بأيديهم للبر والتقوى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مما تقدم يتضح لنا أن المساجد فى الإسلام لها غاية عظمى سامية، فإلى جانب العبادة وإقام الصلاة فهى جامعة لكل أطياف المجتمع المسلم فيها يلتقون ويتآلفون ويترابطون ويتراصون كالبنيان يشد بعضه بعضا، فالمساجد ليس حوائط وجدران صماء، بل هى وعاء لا ينضب من الخير والعلم والعمل، ولم شمل أبناء المجتمع المسلم، ولذلك دعا الله تعالى إلى أن المساجد له وحده، يذكر فيها اسمه ، ويتدارس الناس فيها العلم وتبادل المنافع، وإبداء الآراء وحل المشكلات، مما يكون له أثر طيب فى نفوسهم يعينهم على مواجهة الصعاب، وإن مما ينبغي الاهتمام به والتنبيه عليه ولفت النظر له أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قائد البشرية ومعلم الناس الخير بقوله وفعله وهدايته للناس فيما يهمهم في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم وهو الرؤوف بأمته الرحيم بها،كان أول عمل قام به صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة وبعد وضع وثيقة المدينة والتى كان من أهم بنودها الموآخاة بين المهاجرين والأنصار، تأسيس المسجد لما له من رسالة سامية وغاية عظيمة، وهدف نبيل وعاقبة حميدة في الدنيا والآخرة،، وحجر الزاوية فى تكامل الشخصية المؤمنة المتكاملة، فمنه انطلقت جحافل الإيمان البانية تخرج الناس من الظلمات إلى النور، نور العلم والمعرفة لهداية البشرية وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم ملتزمة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم تتأدب بآدابه، وتسير على نهجه القويم وسيرته الفذة على الصراط المستقيم، وعلى هذا درج المسلمون الأوائل باهتمامهم بالمسجد فإذا أرادوا الإقامة في بلد كان أول

ما يشتغلون به بنائه، إذ هو الصرح الذى من خلاله تتقدم الأمة الإسلامية إلى آفاق ورحاب الألفة والمحبة والخير والنماء.

الفصل السادس

التنمية من منظور اسلامي

An Islamic perspective for Development

تمهيد

إن تنمية مجتمعاتنا وإصلاحها ودعمها والدفاع عنها هو مطلب شرعي أولاً ، وهو استثمار طويل الأجل ثانياً حيث يتوفر المناخ الآمن الصالح للعيش الكريم وتفتح الشخصية ونموها .

ولكي يتضح لنا مفهوم تنمية المجتمع علينا أن نعرض لبعض المفاهيم ذات الصلة الوثيقة بالمجتمع والتنمية ، والتي منها:

١ . إن المجتمع في جوهره تعبير إنساني عن مجمل العقائد والمفاهيم والأعراف والعلاقات والمصالح التي تسود رقعة مكانية معينة ، وتخضع لها مجموعة بشرية محددة .

٢ . إن للعقيدة دوراً مهماً في تحديد ماهية الفعل الاجتماعي ؛ إذ إنها تحدد اتجاهه، كما أنها تفسره ، وتظهر مسوغاته ، وتكشف عن منطقيته ، كما أنها تحدد أهدافه ، وترشد إلى كثير من نظمه ووسائله.

٣ . إن كثيراً من النظريات التي حاولت الكشف عن السلوك الاجتماعي تمت في الغرب ، وعلى أسس وأصول ، وفي إطار مفاهيم وافتراضات غربية ، ولذا فإن تلك الدراسات والكشوفات قد تفيد المجتمعات الغربية لأنها خرجت من رحم ثقافتها ، لكنها تبدو قاصرة إذا طبقت على مجتمعاتنا الإسلامية .

إن فهم واقعنا على نحو جيد يتطلب معايشة ممتازة له من خلال دراسات وتقنيات خاصة وكثيفة ، وفي إطار مفاهيم ومعطيات إسلامية ومحلية ، ولابد إلى جانب ذلك أن نكون قادرين على التحرر من كثير من العادات والتقاليد والتراكمات التي شكلت

رؤيتنا للحياة بعيداً عن المنهج الرباني .

٤ . للفكر دور مهم في بناء المجتمعات ، وفي تغييرها ؛ إذ إنه يوفر لنا الأدوات التي تمكننا من استيعاب الواقع الاجتماعي ، حيث يستحيل التعامل مع أي واقع اجتماعي إلا من خلال تكوين صورة ذهنية عنه ، والفكر هو الذي يشكل هذه الصورة .غير أن الأفكار تبقى محدودة القيمة على الصعيد الاجتماعي العملي ما لم تحدث تغييراً في مؤسسات المجتمع ونظمه ، وعلى سبيل المثال ، فإنه إذا ساد المجتمع نوع من الخوف من المستقبل وعدم الاطمئنان إليه ، فإن الحل لا يكمن في دعوة الناس إلى الاطمئنان ، وإنما في إنشاء أوضاع اجتماعية يشعر معها الناس بالأمن عن طريق تقوية الإيمان بالله ، ورحمته بخلقه ، وعن طريق تدعيم العلاقات الاجتماعية والقرابية ، وإنشاء بيوت لرعاية كبار السن ، وتكفل الدولة بضمان الحد الأدنى من العيش الكريم لكل مواطن.

٥ . إن من المهام الأساسية للتنمية الاجتماعية دعم العلاقات الاجتماعية ، علاقات الأخوة والقرابة والجوار والزمالة والضيافة ، وتنمية مفاهيم التقدير والتسامح والفهم المتبادل ، وهذا ما تفعله كل التعاليم والآداب الإسلامية التي تهدف إلى تقريب الناس بعضهم من بعض ، ومن ثم فإن هذه المسألة يمكن أن تكون معياراً مهماً لمدى التقدم الذي يحدثه أي مجتمع مسلم.

إن المجتمع العام يتألف سياسياً واجتماعياً من الأسرة ، والمجتمع المدني ، والدولة (الحكومة) ، وكل له دوره المنوط به في التنمية الاجتماعية ، وسنعرض هنا بشيء من الإيجاز لدور كل واحد منها في هذه التنمية.

اولاً:- الأسرة ودورها في التنمية:

يمثل البيت المسلم إحدى الدعائم الأساسية في بناء الشخصية الإسلامية إذ هو المحضن الأول للطفل والمقر الدائم لحياة الفرد، وما دامت المدرسة في تعليمها إنما تنطلق من عقيدة الأمة وأهدافها وثقافتها وتاريخها وكل جوانب المعرفة وروافد العلم التي تتضافر على تكوين الشخصية المسلمة، فإن دور البيت ينبغي أن يكون دوراً أساسياً لمساعدة وتدعيم كل المعارف والحقائق التي يتلقاها الفرد في المدرسة فتسير معها في اتجاه واحد يحقق التعاون والانسجام، وإذا كانت المدرسة تمثل الجانب النظري في الإعداد، فإن البيت ينبغي أن يكون محلاً للتطبيق العملي لما يتلقاه الفرد في المدرسة، ويزيد في تبصيره بكثير مما تعجز المدرسة عن تغطيته، فإذا تحقق هذا التلاحم بين البيت والمدرسة كان لذلك أثره البعيد في تكوين الفرد وصلاحه واستقامة سلوكه، أما إذا حصل أي تناقض أو اختلاف بين ما يأخذه الطالب في المدرسة، وما يمارسه في البيت أو يشاهده في المنزل، فإن ذلك يورث اهتزازاً في القيم، وتذبذباً في النفس، وازدواجية في التفكير، وبالتالي يحدث خللا في بناء الشخصية وتكوينها وتقل تطلعاتها.

والأسرة عندما يدرك أفرادها ما يجب عليهم فهمه من نصوص شرعهم، ودلالات دينهم، ويحرصون على ذلك عملاً، فإن نتيجة ذلك الالتزام بالأخلاق، ومراقبة الأعمال لتزنها من منطلق الفهم الصحيح، حتى توجه الأبناء منذ حداثة أعمارهم التوجيه السليم، وتغرس في نفوسهم حب الفضيلة لفضلها، وعمق أثرها، وكراهية الرذيلة لسوئها، وآثار نتائجها؛ لأن الرذيلة يتمثل فيها شبح الجريمة التي يحسن بالأسرة تجسيمها لدى الناشئة، وإيصاد الطرق المؤدية إليها؛ ليكبر هذا الإحساس معهم، فيرونها شبحاً مخيفاً، وعملاً رذيلاً، تكبر أحاسيسهم حياله مع الأيام، حتى إذا كبروا،

وصاروا في موطن المسئولية، وعمق الفهم، أدركوا بالدليل الشرعي سر ما رسخ في قلوبهم، ودور ما أنشئوا عليه من أعمال وأفكار، حيث أدرك ذلك المفهوم التربوي الشاعر العربي في قوله:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

وأسوة المسلمين في ذلك منهج الصحابة، وفهم التابعين في حسن توجيههم لأبنائهم، وتلقينهم الفضيلة طبعاً وخلقاً وتعويدهم الأعمال الحميدة ترويضاً ومتابعة، حيث تابعوا التطبيق مع أقرب الناس إليهم، ونشئوا محبين لكل عمل مستحسن، آلفين كل منهج سليم، سائرين على الفطرة السليمة، التي هي تعاليم الإسلام الصحيحة؛ لأن كل مولود يولد على الفطرة، والإسلام وتشريعاته هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالأسرة المسلمة في كل عصر ومصر عندما يهتم أربابها بأبنائهم تربية وحسن خلق، وإنكارا للمنكر، وتحذيرا من الصغائر، التي حذر منها رسول الله ﷺ بقوله: «إياكم ومحقرات الذنوب » أي ما تحتقره النفس ويصغر في العين، فإن هذا من أسباب توفر البيئة الصالحة ؛ لأن صلاح الأحداث، وتعظيمهم شرائع الله، والوقوف عند حدوده، دافعه الزاجر الإيماني، والتربية السليمة التي حرصت الأسرة على تمكينه في جوانب البيت، ضمن التربية الأولية التي يلقنها الآباء والأمهات لأبنائهم، فالكبير يمتثل ويوجه ويضرب النموذج الصالح بالقدوة والالتزام، أما الصغار فيبين لهم أن ذلك العمل ما هو إلا استجابة لشرع الله الذي جاء به الإسلام تربية وتوجيهاً وتعليماً وتطبيقاً.

فالصغير عندما يتعود ذلك عملاً، وتنطبع به أخلاقه سلوكاً، فإن الأمر سيعظم في قلبه، والمصدر الذي جاء منه وهو كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ، الذي استجاب من أجلها، سيكون له مكانة راسخة في أعماقه؛ لأن هذا من تعظيم حرمات الله، كما قال

تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾سورة الحج الاية٣٠، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾سورة الحج الاية٣٢.

إن الأسرة التي تحرص على غرس الروح الإيمانية في قلوب أبنائها، منذ تفتح براعمهم، فإنما تحصنهم لمجابهة الحياة، والاستعداد لإدراك المخاطر؛ لأن الإيمان بالله وبكتبه وبملائكته وبرسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ترسيخ هذا الإيمان يعطي الأبناء سلاحاً قوياً يدفعهم للعمل، وينمي عندهم بغض الشر، وإدراك خطره، ويحبب إليهم الخير، ويرغبهم في البحث عن مداخله، والاستئناس بأهله؛ لأن من شب على شيء شاب عليه، وبذلك يسلم الأحداث- بتوفيق من الله- من الجنوح في صغرهم، ومن ثم الابتعاد عن الجريمة في كبرهم؛ لأنها لم تجد في قلوبهم باباً مفتوحاً، ولا ارتياحاً يدفعها للاستقرار.

ومعلوم أن من يركب مخاطر اليم، إذا لم يكن قادراً على السباحة، فإنه يعرض حياته للموت، ونفسه للخطر، بل أبسط ما يقال عنه: إنه قد ألقى بنفسه إلى التهلكة؛ لأنه لم يستعد من قبل بما يعينه على مصارعة الأخطار، والقدرة على توقي أضرارها.

ثانياً:- المجتمع المدني ودوره في التنمية:

المقصود بالمجتمع المدني : " النقابات ، واتحادات العمال، والمؤسسات والهيئات والجمعيات الخيرية، والنوادي ، ومجموعة المنظمات غير الحكومية ، والغرف التجارية ، والاتحادات المهنية التي يربط بين أعضائها رباط اجتماعي ليس قائماً على القرابة أو الدين... ويكون الترابط والتضامن فيها قائماً على الوعي وتبادل الاحتياجات والمواقف في الأزمات مثل العجز أو المرض أو الوفاة أو حالات الاعتداء .

وللمجتمع المدني جانب سياسي لأنه هو البنية التحتية للحياة السياسية وهو سبب نشوئها واستمرارها الشرعي ، بمعنى أن " المجتمع المدني هو الأصل والأساس العقلي لأية شرعية سياسية وهو المسئول عن سلامة أو فساد الحياة السياسية ، فإذا كانت الديمقراطية مزيفة ، والناس سلبيين غير عابئين بما يحدث ، وغير مشاركين في الحياة السياسية فإن هذا يرجع غالباً إلى عدم سلامة وفعالية البنية التحتية للحياة السياسية أعني المجتمع المدني".

إن المجتمع المدني هو . أو هكذا ينبغي أن يكون . المساحة الحرة والمنظمة بين الأسرة والدولة ، وهو مجتمع مفتوح حر ومنظم بشكل ذاتي ، وليس بشكل خارجي أو قهري ، أي ليس منظماً من قبل الدولة ، بل منظماً تنظيماً داخلياً بواسطة أعضائه والقوانين التي وضعوها بالأسلوب الديمقراطي ، وارتضاها المجتمع العام ، ويربط بين الناس بروابط ثقافية أو اجتماعية أو مهنية أو سياسية أو اقتصادية ، أو أية رابطة مدنية أخرى تقوم على العمل التطوعي، والإرادة الحرة وتبادل المصالح المستنيرة المشتركة.

أركان المجتمع المدني :

يقوم المجتمع المدني على ثلاثة أركان :

(١) . الإرادة الحرة : فالمجتمع المدني يقوم على الانتماء التطوعي الحر بملء الرغبة وكامل القناعة الذاتية بناء على وعي اجتماعي وسياسي .

(٢) . التنظيم : فكل جمعية أو هيئة أو رابطة في المجتمع المدني لها نظام ولوائح تحدد شروط العضوية ومنهج العمل داخلها كما يوجد نظام عام يحكم ويحدد العلاقات بين أجزاء المجتمع المدني ، ويحكم العلاقة بينه وبين الدولة .

(٣) . التسامح وقبول التعددية: فالتعددية سنة كونية لا سبيل للقضاء عليها سواء على مستوى المجتمع الواحد أو على مستوى المجتمع العالمي ، وفيه يوجد قبول كامل لهذه التعددية واعتراف بها وتسامح تجاه ما ينتج عنها من اختلافات ، كما أن لديه التزام أخلاقي بالإدارة السلمية للاختلافات عندما يحدث صراع.

المبادئ التي يقوم عليها المجتمع المدني:

يقوم المجتمع المدني على مجموعة من المبادئ أهمها ما يلي:

١ . المساواة المستنيرة .

٢ . حماية الجماعات الضعيفة والأقليات.

٣ . الحرية والاستقلال الفردي .

٤ . التناول الديمقراطي للسلطة .

٥ . مشاركة الحكومة في التنمية .

٦ . الشفافية والرقابة المتبادلة .

أنماط من تنظيمات المجتمع المدني في الحضارة الإسلامية :

عرف المجتمع المدني في الحضارة الإسلامية أشكالاً متعددة مما نطلق عليه الآن اسم مؤسسات المجتمع المدني مثل الأوقاف وطوائف الحرف والتجار والأخويات .

ويشكل نظام الأوقاف لبنة أساسية للتكافل الاجتماعي بعيداً عن دور الدولة ، وكانت الأوقاف تلعب دوراً كبيراً في بنيان الأمة أو المجتمع المدني حيث كانت تساهم في التوازن الاجتماعي والاقتصادي فهي خدمة عامة تقدم للناس ابتغاء وجه الله تعالى، وكانت الأوقاف متنوعة فهي تشمل كافة الخدمات من إصلاح الطرق العامة وإنشاء الجسور وعمارة المساجد وتقديم الخدمات الطبية وكفالة الأيتام واللقطاء والفقراء ومساعدة طلبة العلم ومساندة المزارعين فيأخذون بذور أرضهم مجاناً ، ومساعدة صغار التجار بعطايا أو بقروض حسنة بلا فوائد وتزويج الفقراء من الشباب ذكوراً وإناثاً ، وكفالة العميان والمقعدين ، بل وتقديم الألبان للأمهات الفقيرات ، وتقديم العون لابن السبيل.

ولنأخذ إحدى عواصم الحضارة الإسلامية كنموذج للدور العظيم الذي كانت تقوم به الأوقاف في حياة الناس ، يقول ابن بطوطة : " والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج تعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته ، ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن ، وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن ، ومنها أوقاف لفكاك الأسارى ، ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم ، ومنها أوقاف على تعديل الطرق ورصفها ؛ لأن أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليهما المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك ، ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير.

أما الأخويات فهي في الأساس نظام صوفي وجد خارج نطاق المسجد فيما كان يسمى الزاوية أو الرباط أو التكية ، وكان أعضاؤها يشكلون نظاماً اجتماعياً يطلق عليه النظام الأخوي ، ومع أن الانضمام لهذا الشكل من التنظيم كان مفتوحاً لكن كان لابد من توافر بعض الشروط منها التأكد من وجود إرادة حرة ورغبة حقيقية وقناعة ذاتية.

وتطورت الأخويات فأصبحت تضم لها أفراد حرفة معينة ، أو معظمهم ، ومن ثم أصبحت تشكل قاعدة اتحاد عمال أو نقابة مصغرة ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه : الشراكة على أساس الاهتمامات والمصالح المشتركة.

أما التنظيمات المهنية التي كانت تضم أهل كل حرفة في تنظيم واحد له مصالحه المشتركة وطرقه الذاتية في التكافل بين أعضائه فهي مسألة معروفة تماماً وهي إن لم تكن تشتمل على اللوائح والآليات الموجودة الآن لكنها . بلا شك . كانت تمثل قاعدة نقابة.

ومن أشكال المجتمع المدني كذلك ما كان يعرف ولا يزال نجده حتى الآن في مصر وفي عدد من الدول العربية نظام المضايف والمجالس العرفية ، ومجالس العرب لفض المنازعات بعيداً عن الدولة أو القضاء .

إن هذه كلها أشكال المجتمع المدني في مجتمعاتنا ينبغي الحفاظ عليها أو استعادتها ، ثم تطويرها وتحديثها عن طريق التوعية بالآليات والممارسات المعاصرة وتوسيع نطاق دورها ثم تكوين أشكال جديدة لكي تعمل بجوار هذه التكوينات التقليدية.

الدور المنوط بالمجتمع المدني:

١ . على المجتمع المدني تبادل الرقابة والنقد والنصيحة بينه وبين الحكومة في إطار الدستور والقانون .

٢ . على المجتمع المدني مراقبة الأمن في المجتمع المحلي الصغير بدون اعتداء على الحريات الشخصية والإبلاغ عن الحوادث التي تقع من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما أن عليه أن يقوم بنوع من الرقابة الذاتية على نفسه ضد الفساد الداخلي.

٣ . على المجتمع المدني أن يحمي الأفراد من القوة الطاغية لبعض الجهات ذات القوة في الدول المختلفة وللنقابات ومنظمات حقوق الإنسان دور كبير في هذا الصدد .

٤ . للمجتمع المدني دور كبير في مساعدة الحكومة في المساهمة في تقديم الخدمات العامة ، ورعاية الأيتام والمعاقين والمسنين وتقديم الخدمات العلاجية ومحو الأمية .

٥ . على المجتمع المدني عبء كبير في مجال البيئة : أعمال النظافة في المجتمع المحلي والإبلاغ عن المصانع والورش الملوثة للبيئة ، وزراعة المناطق المحيطة بالبيوت وأمامها واستغلال المساحات الفارغة لعمل حدائق ..إلخ.

٦ . على المجتمع المدني مساعدة الحكومة في مكافحة البطالة من خلال تقديم القروض الحسنة ، أي القروض بلا فوائد ، لتشجيع المشروعات الاقتصادية الصغيرة وعمل دورات تدريبية لنقل وتنمية المهارات الإنتاجية التي تساعد على تهيئة العاطلين للعمل ، أو تساعد الذين يرغبون في تطوير أنفسهم وتحسين مستوى عملهم أو تغيير مجاله .

٧ . على المجتمع المدني عمل برامج فعالة وعملية لنشر الوعي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في مختلف الطبقات ولاسيما الطبقات الدنيا والتركيز على نشر ثقافة التنمية والإنتاج وتفعيل مشاركة المواطنين وتهيئة المناخ العام لجعل كل مواطن يشعر بأن أي عمل إيجابي . مهما كان صغيراً . سوف يساهم في عملية التنمية والتقدم ، وغرس مفاهيم عمل الخير الإيجابي الذي ينعكس على عملية التنمية والبناء والتعمير والإنتاج.

ثالثاً:- الدولة أو الحكومة ودورها في التنمية:

مسؤولية الدولة: إذا كان الإسلام قد أعطى عناية كبيرة لوسائل التكافل الفردية فإنه لم يكتف بها بل أقام إلى جانبها الوسائل العامة التي جعلها من مسؤولية الدولة ومن واجباتها الاجتماعية.

ومن أهم هذه الوسائل:

أ- تأمين موارد المال العام:

وذلك باستثمار المحيط الطبيعي للدولة وما ينطوي عليه من ثروات باستخراج معادن الأرض وكنوز البحار وكافة الثروات التي أودعها الله في الكون واستخلف فيها الإنسان وجعله سلطانا على تسخيرها والانتفاع بها في حياته ليتحقق أقصى حد للرفاهية الاجتماعية الشاملة التي لا تقتصر على فئة دون فئة أو مجال دون آخر.

ولو أن كل دولة قامت بواجبها في هذا المجال ووزعت نتائج هذه المصادر بالقسط – خدمات عامة وفرص عمل- لأقبلت المجتمعات الإنسانية كلها على نهضة جبارة.

ب- إيجاد فرص عمل للقادرين عليه:

وذلك بالبحث عن أفضل الحلول لمواجهة البطالة وبإقامة المشاريع البناءة التي تساهم في النهضة العامة، وتوفر في ذات الوقت فرص العمل للأيدي العاطلة بعدالة تامة ومراعاة للحاجات العامة وإعطاء الأولوية للفئات الفقيرة المحرومة، ونذكر هنا تلك الحادثة التي لها دلالتها حيث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله فأعطاه درهما وأمره أن يشتري به فأسا ويذهب إلى الغابة فيحتطب ويأتيه بعد فترة فلما جاءه أخبره أنه وفر قدرا من المال لحاجته وتصدق بالبعض الآخر فقال ﷺ : «لأن يأخذ أحدكم حبله ويحتطب خيرا له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه».

ج- تنظيم وسائل التكافل الفردي:

فالدولة مسئولة عن تنظيم الوسائل الفردية للتكافل – سابقة الذكر – وخاصة الزكاة والوقف، وذلك بإقامة السياسات اللازمة لتحقيق أهداف تلك الوسائل المتمثلة في القضاء على الفقر وتقريب الهوة الاجتماعية بين الموسرين والمحرومين ، وإيجاد الضمانات اللازمة لتحقيق ذلك.

فعندما يتعرض المجتمع لأوضاع غير عادية يصل فيها التفاوت الاجتماعي إلى حد غير مأمون وتعجز الدولة بمواردها العامة عن تلبية الحاجات الاجتماعية وعن القيام بوظائفها وواجباتها تجاه المجتمع، فلا مانع بل يجب – في رأي معظم فقهاء الإسلام – أن تفرض الدولة في أموال الأغنياء ما يحقق ذلك حتى تعود الأوضاع إلى حالتها السوية على أن تكون في ذلك قوامة بالقسط وأن تكون الدوافع الحقيقية هي خدمة الصالح العام.

الضمان الاجتماعي في الإسلام:

ويراد به التزام الدولة الإسلامية نحو كافة المقيمين بها، أيا كانت ديانتهم أو جنسياتهم، وذلك بتقديم المساعدة للمحتاجين منهم في الحالات الموجبة بتقديمها كمرض أو عجز أو شيخوخة، متى لم يكن لهم دخل أو مورد يوفر لهم حد الكفاية، ودون أن يطلب تحصيل اشتراكات مقدمًا.

والأخذ بالضمان الاجتماعي في الإسلام، هو من قبيل تطبيق النص أي ما ورد بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالزكاة وهذا ما يميز الضمان الاجتماعي في الإسلام، عن التأمين الاجتماعي والذي يمكن الأخذ في الإسلام بموجب المصلحة، والتأمين الاجتماعي كما هو معروف تتولاه الدولة والمؤسسات الخاصة، ويتطلب مساهمة المستفيد باشتراكات يؤديها، وتمنح له مزايا التأمين أيا كان نوعها وذلك متى توافرت له شروط استحقاقها بغض النظر عن فقره أو غناه.

رابعاً:- الأوقاف الخيرية ودورها في التنمية :

الوقف الخيري أحد أبرز سمات المجتمع المسلم، ارتبط بالوجود الإسلامي في المدينة، ومارسه المسلمون تلبية لأوامر الإسلام العقدية والتعبدية والخلقية ولحاجات الناس، حيث شمل الوقف كل جوانب الحياة وأوجه الإنفاق على دور العبادة والتعليم والخير.

أهمية الوقف وأدلة مشروعيته:

الوقف جائز ومشروع بنصوص عامة من القرآن الكريم وأخرى مفصلة من السنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾سورة البقرة٢٧٢، وقوله تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾سورة آل عمران الاية٩٢ أي من الصدقات والوقف منها فهو مندوب إليه، وقوله تعالى: ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾سورة الحج٧٧ ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ سورة آل عمران الاية١١٥ ، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾سورة البقرة٢٨٠.

ومن السنة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"، والصدقة الجارية محمولة على الوقف عند العلماء، فإن غيره من الصدقات ليست جارية، بل يملك المتصدق عليه أعيانها ومنافعها.

وحديث وقف عمر بن الخطاب، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما «أن عمر أصاب أرضا من أرض خيبر، فقال يا رسول الله: أصبت مالا بخيبر لم أصب قط مالاً أنفس منه، فما تأمرني، فقال: " إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها" قال: فتصدق بها عمر على ألا تباع ولا توهب ولا تورث، في الفقراء وذوي القربى والرقاب والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول".

قال الحافظ ابن حجر: "وحديث عمر هذا أصل في مشروعية الوقف".

وعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال: " من يشتري بئر رومة فيجعل منها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة، فاشتريتها من صلب مالي".

وعن عائشة – رضي الله عنها– «أن رسول الله ﷺ جعل سبع حيطان له بالمدينة صدقة على بني المطلب وبني هاشم"، وبعد ذلك تتابع الصحابة رضوان الله عليهم في الوقف.

فنظام الوقف إذن باعتباره نظاماً خيرياً موجود منذ القدم بصور شتى، إلا أنه من المؤكد أن نظام الوقف في الإسلام بشكله الحالي يبقى خصوصية إسلامية لا يمكن مقارنتها بصور البر في الحضارات أو الشعوب الأخرى وهذا عائد إلى عدة أمور:

١ – التعلق الشعبي به وامتداد رواقه ومظلته إلى أمور تشف عن حس إنساني رفيع.

٢ – عدم اقتصار الوقف على أماكن العبادة كما هو في الأديان السابقة، بل امتد في نفعه إلى عموم أوجه الخير في المجتمع.

٣ – شمول منافع الوقف حتى على غير المسلمين من أهل الذمة، فيجوز أن يقف المسلم على الذمي لما روي أن صفية بنت حيي – رضي الله عنها – وقفت على أخ لها يهودي.

ويتميز الوقف بخصائص وميزات متعددة قد لا توجد في المشاريع الخيرية الأخرى، وهذه المزايا أكسبته تلك الحيوية التي استمر أثرها في الأمة على مدى قرون طويلة؛ لأجل ذلك لا عجب أن نرى ذلك الإقبال الكبير من لدن أفراد المجتمع المسلم على الوقف وتحبيس جزء كبير من أملاكهم لأعمال الخير، وقدوتهم في ذلك نبيهم محمد ﷺ

ثم صحبه الكرام، فقد وقف مجموعة من أصحاب النبي ﷺ منهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير بن العوام ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وعائشة وأم سلمة وصفية زوجات الرسول ﷺ وأسماء بنت أبي بكر وسعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وجابر بن عبد الله وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين، ومن بعدهم من التابعين وتابع التابعين.

ثم سار من بعدهم الأغنياء والموسرون من المسلمين فأوقفوا الأوقاف وأشادوا الصروح، بنوا المساجد، وأنشئوا المدارس وأقاموا الأربطة، وهؤلاء الأخيار والأغنياء الأبرار لم يدفعهم إلى التبرع بأنفس ما يجدون وأحب ما يملكون، ولم يتنازلوا عن هذه الأموال الضخمة والثروات الهائلة إلا لعظم ما يرجون من ربهم ويأملون من عظيم ثواب مولاهم، ثم الشعور بالمسئولية تجاه الجماعة والأقربين، دفعهم ذلك كله إلى أن يرصدوا الجزيل من أموالهم ليستفيد إخوانهم أفرادا وجماعات، جمعيات وهيئات، أقرباء وغرباء.

وفي عهد العباسيين كان لإدارة الوقف رئيس يسمى (صدر الوقف) أنيط به الإشراف على إدارتها وتعيين الأعوان لمساعدته على النظر عليها.

ولما تولى العثمانيون مقاليد السلطة في معظم البلاد الإسلامية اتسع نطاق الوقف لإقبال السلاطين وولاة الأمور في الدولة العثمانية على الوقف، وصارت له تشكيلات إدارية تعنى بالإشراف عليه وصدرت تعليمات متعددة لتنظيم شئونه وبيان أنواعه وكيفية إدارته، ولا زال الكثير من هذه الأنظمة معمولا بها إلى يومنا هذا.

الحكمة من مشروعيته:

قال بعض أهل العلم: الوقف شرع لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما صرف مالا كثيرا ثم يفنى هذا المال، ثم يحتاج الفقراء مرة أخرى أو يأتي فقراء آخرون فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء وقفا للفقراء

وابن السبيل يصرف عليهم من منافعه ويبقى أصله.

لقد أمر الإسلام بكل ما يقوي عرى الصلة والتراحم بين المسلمين عامة ويحقق التكافل فيما بينهم، وحض على التعاون والتكاتف في كل سبل الخير والبر والمعروف، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾سورة المائدة الاية٢ ، والوقف فيه تحقيق لكلا الغرضين، التكافل العام بين المسلمين، والتكافل الخاص في نطاق الأسرة الواحدة.

ولما كان المال محببا إلى النفوس ويصعب على المرء التفريط فيه، فقد شرع الإسلام حبس عين المال، والتصدق بمنفعتها وفي هذا تحقيق لرغبة الإنسان المتمشية مع ما جبل عليه من حرص على المال، وذلك لأن عين ماله باقية في الوقف ليس لأحد التصرف فيها.

كما أن في الوقف تحقيقا لمصالح الأمة وتوفيرا لاحتياجاتهم ودعما لتطويرها ورقيها، وذلك بما يوفره من دعم لمشروعاتها الإنمائية، وأبحاثها العلمية، وذلك أن الوقف لا يقتصر على الفقراء وحدهم وإنما يمتد نفعه ليشمل كثيرا من المجالات التي تخدم البشرية.

وإذا كان المسلم حريصا على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويرجو الثواب في الدنيا والآخرة، فإن الله سبحانه فتح أمامه أبواب الخير العديدة ومنها الوقف، إضافة إلى أن الوقف في الإسلام من أهم المؤسسات التي كان لها دور فعال في الحضارة الإسلامية لكافة جوانبها الدينية والاقتصادية والاجتماعية وحراسة الدين، ومن أهم آليات حراسة الدين بناء المساجد وعمارتها لإقامة الصلوات التي تعد عماد الدين، وكان الوقف وما يزال المصدر الرئيس لتوفير التمويل اللازم لذلك، هذا إلى جانب أن وقف الكتب وإقامة المكتبات وإقامة حلقات التعليم في المساجد تعمل في مجال حراسة

الدين كما تعمل في مجال التنمية البشرية.

ويلعب الوقف دوراً هاماً في مكافحة الفقر وإنشاء المدارس والمستشفيات والطرق والجسور، ومصادر المياه الصالحة للشرب، وغيرها من مؤسسات التنمية الاجتماعية والحضارية، وظهر للوقف قديما دور في النشاط الزراعي بوقف الأراضي الزراعية واستغلالها لحساب مستحقي الوقف.

ومما يبرز أهمية الوقف أن بعض الدول غير الإسلامية والمتقدمة منها مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا ينتشر الوقف بها رغم أنه ليس وراء ذلك دافع ديني إسلامي، ورغم كثرة المبتكرات لديهم من أساليب تمويل الخدمات الاجتماعية إلا أنهم أخذوا صيغة الوقف كما جاء بها الإسلام وطبقوها في مجالات عديدة مثل المستشفيات والجامعات، ومواجهة الكوارث وتقديم الإعانات للفقراء، كل ذلك يؤكد لنا أن مؤسسة الوقف ليست عملا تراثيا من الماضي ولم يعد له حاجة في الوقت الحاضر، بل على العكس دوره مطلوب بشدة الآن، وله ما يبرره ويجب العمل على إحيائه بكل السبل.

وتقوم فكرة الوقف نفسها على تنمية قطاع ثالث متميز عن كل من القطاع الخاص، والقطاع الحكومي، وتحميل هذا القطاع مسؤولية النهوض بمجموعة من الأنشطة هي – بطبيعتها – تدخل في إطار البر والإحسان والرحمة والتعاون، لا في قصد الربح الفردي، ولا ممارسة قوة النظام وسطوته؛ لأن هذا النوع من الأنشطة قائم على المودة والمرحمة.

فالوقف إخراج لجزء من الثروة الإنتاجية في المجتمع من دائرة المنفعة الشخصية ودائرة القرار الحكومي معا، وتخصيص لذلك الجزء لأنشطة الخدمة الاجتماعية العامة، وقد قررت الشريعة الإسلامية أن هذه الأنشطة والخدمات هي حاجة

بشرية، لا تقتصر على المجتمع الإسلامي فقط بل هي لغير المسلمين أيضا.

ويعد الوقف بمفهومه الواسع أصدق تعبيرا وأوضح صورة للصدقة التطوعية الدائمة، بل له من الخصائص والمواصفات ما يميزه عن غيره، وذلك لعدم محدوديته واتساع آفاق مجالاته، والقدرة على تطوير أساليب التعامل معه، وكل هذا كفل للمجتمع المسلم التراحم والتواد بين أفراده على مر العصور بمختلف مستوياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الأمة الإسلامية خلال الأربعة عشر قرنا الماضية، فنظام الوقف مصدر مهم لحيوية المجتمع وفاعليته، وتجسيد حي لقيم التكافل الاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى آخر حاملة مضموناتها العميقة في إطار عملي يجسده وعي الفرد بمسؤولياته الاجتماعية، ويزيد إحساسه بقضايا إخوانه المسلمين، ويجعله في حركة تفاعلية مستمرة مع همومهم الجزئية والكلية.

إن الدارس للوقف في الحضارة الإسلامية ليعجب من التنوع الكبير في مصارف الأوقاف، فكان هناك تلمس حقيقي لمواطن الحاجة في المجتمع، لتسد هذه الحاجة عن طريق الوقف، فالوقف من حيث بعده الاجتماعي يبرهن على الحس التراحمي الذي يمتلكه المسلم ويترجمه بشكل عملي في تفاعله مع هموم مجتمعه الكبير، ويظهر هذا جليا في رصد التطور النوعي للوقف على امتداد القرون الأربعة عشر، فقد كان المسجد أهم الأوقاف التي عني بها المسلمون، بل هو أول وقف في الإسلام، كما هو معلوم في قصة بناء مسجد قباء أول مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، ولعل من أبرز شواهد اهتمام المسلمين بذلك الجانب في الوقف: الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة، والجامع الأزهر بالقاهرة، والمسجد الأموي بدمشق والقرويين بالمغرب، والزيتونة بتونس وغيرها كثير، ثم يأتي في المرتبة الثانية من حيث الكثرة العددية والأهمية النوعية المدارس، فقد بلغت الآلاف

على امتداد العالم الإسلامي، وكان لها أثر واضح في نشر العلم بين المسلمين، وقد أدى توافد طلاب العلم من جميع أنحاء العالم إلى مراكز الحضارة الإسلامية والعواصم الإسلامية إلى إنشاء الحانات الوقفية التي تؤويهم، مع تهيئة الطرق، وإقامة السقايات والأسبلة في هذه الطرق للمسافرين، وكذا دوابهم.

وصاحب ذلك إنشاء الأربطة ودور العلم للطلاب الغرباء لإيوائهم، واستتبع ذلك ظهور الوقف للصرف على هؤلاء الطلاب باعتبارهم من طلاب العلم المستحقين للمساعدة في دار الغربة، ولا تخلو كل هذه المراحل والأنواع من جوانب اجتماعية للوقف، إلا دلالتها وأهميتها وأثرها في المجتمع بشكل عام.

كما أن للوقف دورا فاعلا في مجال الرعاية الاجتماعية، يتمثل ذلك في المدارس والمحاضن التي أنشئت خصيصا للأيتام، يوفر لهم فيها المأكل والأدوات المدرسية، كما يتمثل دور الوقف في مجال الرعاية الاجتماعية في الأربطة بالإضافة إلى الأسبلة التي يقصد بها توفير ماء الشرب للمسافرين وعابري السبيل وجموع الناس، سواء داخل المدن أو خارجها، وقد أدت دورها الاجتماعي باقتدار رغم صعوبة استمرار مثل هذه المؤسسات الاجتماعية وبقائها فترات طويلة وعلى مدى أجيال متوالية، ويعود ذلك إلى حاجتها الكبيرة إلى موارد مالية دائمة لا تتوقف ولا تنضب، وقد تحقق لها ذلك بفضل من الله ثم بفضل نظام الوقف الذي ازدهر في تصاعد مع ازدهار الحضارة الإسلامية، ذلك أن الملاحظ في كثير من حلقات التاريخ وفي العديد من بلاد العالم توقف مؤسسات خيرية ضخمة عن أداء رسالتها بعد فترة من الزمن، بسبب نضوب مواردها المالية وإفلاسها، مما اضطرها إلى طلب مساعدة الخيرين بين حين وآخر، أما في الحضارة الإسلامية فإنه قل أن تجد مثيلا لهذه الظاهرة.

الأهداف الخاصة للوقف:

للوقف عند المسلمين عدة أهداف خيرية واجتماعية حميدة، منها ما يقصد به المجتمع ومنها ما يقصد به حماية الأسر وتلاحمها وترابطها وتعاونها على البر والتقوى بصفتها اللبنة الأولى للمجتمع ومنها ما يعود على الموقف نفسه من أجر وثواب يناله بسبب الوقف وإليك أهم أهداف الوقف:

١ – تحقيق مبدأ التكافل بين الأمة المسلمة وإيجاد التوازن في المجتمع فإن الله – سبحانه وتعالى– جعل الناس مختلفين في الصفات متباينين في الطاقة والقدرة، والوقف عامل من عوامل تنظيم الحياة بمنهج حميد يرفع من مكانة الفقير ويقوي الضعيف، ويعين العاجز، ويحفظ حياة المعدم، من غير مضرة بالغني ولا ظلم يلحق بالقوي، وإنما يحفظ لكل حقه بغاية الحكمة والعدل، فتحصل بذلك المودة وتسود الأخوة ويعم الاستقرار، وتتيسر سبل التعاون والتعايش بنفوس راضية مطمئنة.

٢ – في الوقف ضمان لبقاء المال ودوام الانتفاع به والاستفادة منه مدة طويلة، فإن الموقوف محبوس أبدا على ما قصد له لا يجوز لأحد أن يتصرف به تصرفا يفقده صفة الديمومة والبقاء.

٣ – في الوقف استمرار للنفع العائد من المال المحبس، فثوابه مستمر لموقفه حيا أو ميتا وداخل في الصدقة الجارية التي أخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنها من العمل الذي لا ينقطع، وهو أيضا مستمر النفع للموقوف عليه ومتجدد الانتفاع منه أزمنة متطاولة.

٤ – للوقف هدف أعلى وأسمى من بقية الأهداف وهو امتثال أمر الله – سبحانه وتعالى– بالإنفاق والتصدق والبذل في وجوه البر، كما في الآيات التي سبق ذكرها

وغيرها من الآيات المماثلة، كما أن فيه امتثالا لأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالصدقة وحثه عليها.

٥ – في الوقف تحقيق لأهداف اجتماعية واسعة وأغراض خيرية شاملة كدور العلم والوقف على طلبة العلوم الشرعية والعلوم المباحة التي تعود بالنفع على المسلمين والتي هي من متطلبات المجتمع المسلم، وما يتبع ذلك من أبحاث ودراسات تكون من وسائل تنمية المجتمع المسلم وإغنائه عما بيد عدوه.

وقد قام على الوقف جامعات علمية نشرت نورها على الأرض، وحملت رسالة الإسلام إلى الناس، وبسبب الوقف وحده نشطت في البلاد الإسلامية حركة علمية منقطعة النظير غير متأثرة بالأحداث السياسية والاجتماعية التي سادت بلاد المسلمين، فوفرت للمسلمين نتاجاً علمياً ضخماً وتراثاً إسلامياً خالداً، وفحولاً من العلماء لمعوا في التاريخ العالمي كله.

فمن الوقف يمكن إيجاد مؤسسات وقفية تعمل بحرية كاملة بعيدا عن المؤثرات الخارجية تؤدي غرضا أو أغراضا متعددة تخدم المجتمع، وتساهم في نشر الإسلام وتبلغ رسالته تدعم تلك المؤسسات الوقفية من قبل من يسر الله لهم أموالا تزيد عن حاجتهم.

كما أن في تلك المؤسسات تحقيقا لغرض كثير من الأفراد الذين يرغبون في فعل الخير ولكن أعمالهم والتزاماتهم تمنعهم من ذلك أو ليس لديهم الخبرة الكافية للقيام بتلك الأعمال فإذا وجد من يخدمهم باستغلال ما ينفقونه على سبل الخير من المتخصصين في مجال الاستفادة به بما يحقق الغاية منه دفعهم هذا إلى كثرة الإنفاق لاطمئنانهم إلى أن عائد ما ينفقونه سوف يصرف في مصرفه السليم.

٦ – بالوقف يمكن للمرء أن يؤمن مستقبله ومستقبل ذريته بإيجاد مورد ثابت يضمنه ويكون واقيا لهم عن الحاجة والعوز والفقر، فقد جبلت النفس البشرية على الحرص على المال وفي الوقف وسيلة مباحة لتحقيق تلك الرغبة.

٧ – في الوقف وسيلة لحصول الأجر والثواب من الله تعالى وتكثيرها. كما أن فيه وسيلة للتكفير عن الذنوب ومحوها، وفي الكل تحقيق للراحة والطمأنينة النفسية في الدنيا، والفوز بنتائج ذلك في الدار الآخرة.

٨ – في الوقف حماية للمال ومحافظة عليه من عبث العابثين كإسراف ولد أو تصرف قريب، فيبقى المال وتستمر الاستفادة من ريعه، ويدوم جريان أجره له.

٩ – وأيضا في الوقف بر للموقوف عليه وقد حث الشرع الكريم على البر ورغب فيه ففي البر تدوم الصلة وتنقطع البغضاء ويتحاب الناس فتسمو الهمم وتأتلف القلوب وتتعاون على الأمور النافعة وتتجنب الكيد للآخرين وتتجه إلى العمل المنتج النافع. كما أن ذلك من أسباب ترابط الأسرة الواحدة وتماسكها وهي اللبنة الأولى للمجتمع.

١٠ – في الوقف تطويل لمدة الانتفاع من المال ومد نفعه إلى أجيال متتابعة، فقد تتهيأ السبل لجيل من الأجيال لجمع ثروات طائلة ولكنها قد لا تتهيأ للأجيال التي تليه فعن طريق الوقف يمكن إفادة تلك الأجيال اللاحقة بما لا يضر الأجيال السابقة.

١١ – الحاجة ماسة إلى الوقف ففيه تحقيق لكثير من الأهداف والأغراض التي ذكرنا، وبعدمه يحرم المجتمع منها.

الطرق والأساليب الداعمة للوقف:

هناك جملة من الطرق والأساليب الداعمة للوقف وإرجاعه إلى دوره الرائد في دعم الأعمال الخيرية والعلمية والاجتماعية وغيرها، للوصول إلى ما يطمح إليه الجميع بإذن الله فمن ذلك:

١ – تنفيذ حملة إرشاد وتوعية تهدف إلى إبراز قيمة الصدقات وأجر الإنفاق في سبيل الله، وبخاصة ما كان منها صدقة جارية (الوقف) للإقبال على إحياء هذا النظام وجعله يؤدي دوره.

٢ – استمرار عقد الندوات العلمية المتخصصة في الأوقاف وطرحها بشكل موسع بحيث تكون المشاركات من دول العالم الإسلامي وعدم قصرها على المستوى المحلي.

٣ – إبراز دور الوقف الاجتماعي في النهضة الإسلامية وطرحها عبر القنوات الإعلامية، مع التركيز على ضرورة التنوع في مصارف غلال الأوقاف وفق حاجات المجتمع كي تسد ثغراته الاجتماعية.

٤ – طباعة أبحاث الندوات التي أقيمت عن الوقف في كتب وطرحها في الأسواق للبيع وعدم الاقتصار على التوزيع المجاني لها.

٥ – تحويل جميع عمليات الوقف من مبادرات فردية إلى عمل مؤسسي منظم من خلال إنشاء صناديق وقفية متخصصة يندرج ضمنها الأوقاف القائمة حاليا، وما يستجد من أوقاف في إطار واحد تحدده شروط الواقفين.

وتخصص هذه الصناديق المقترحة للقيام بالأنشطة الشرعية والثقافية والصحية بالإضافة إلى الأنشطة الاجتماعية من خلال إنفاق ريع أموال الواقفين بما يحقق

أغراضهم، وتتكون موارد كل صندوق من ريع الأموال والأعيان الوقفية ويقوم على إدارة كل صندوق لجنة متخصصة، وتساعد مثل هذه الصناديق على توفير رأس مال كبير من مجموع الأوقاف المتناثرة، مما يعطي فرصة أكثر لتنمية رؤوس الأموال وإنشاء مشاريع تحقق تنمية واسعة.

ويمكن لتلك الصناديق دعم المشاريع الخيرية التي تتوافق مع شروط الواقفين، بحيث تقوم أية جهة بتقديم مشروع متكامل من حيث الدراسة والتنفيذ ونوعية ومقدار المستفيدين منه، ليقوم الصندوق بدراسة المشروع وتحديد مدى إمكانية دعمه وفق معايير واضحة، بذلك نضمن تحقيق أكثر فائدة من الأوقاف في المجالات المختلفة.

٦ – استصدار نظام للأوقاف يتضمن تعريفه، وتنظيمه، وحمايته، بنوعيه الخيري العام والذري (أو الأهلي) الخاص.

٧ – حماية أموال الأوقاف الموجودة من عقارات ومبان وأموال منقولة، والمحافظة عليها من الغصب والضياع والتعطيل، وحفظ سجلاتها.

٨ – العمل على استرداد أملاك الأوقاف التي حولت إلى استعمالات أخرى بطرق غير مشروعة، ومراجعة السجلات القديمة للأوقاف في المحاكم والدوائر العقارية وغيرها لتحديد الأملاك الوقفية والبدء بإجراءات إعادتها إلى ميدانها الوقفي.

٩ – إعادة النظر في إدارة أملاك الأوقاف، وبخاصة الأوقاف الاستثمارية، بما ينسجم مع إرادة الواقفين وشروطهم من جهة، ومع نصوص الشريعة ومقاصدها من جهة أخرى.

١٠ – وضع النظم اللازمة للتعريف بالأوقاف الخيرية العامة والأهلية الخاصة، وبيان

دورها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتشجيع قيام أوقاف جديدة، وإعادة إدخال الأوقاف الذرية في البلدان التي ألغتها، وبخاصة بعد أن اتجهت عدة مجتمعات معاصرة متطورة إلى تأكيد أهمية هذا النوع من الأوقاف وتشجيعها.

١١ – تقديم المعونات المادية والفنية والتمويلية والإدارية للأوقاف، بنوعيها الخيري والأهلي.

١٢ – وضع الخطط اللازمة لاستثمار الأملاك الموجودة للأوقاف وتنميتها، التي تعطلت عن العطاء خلال العصور المتأخرة لأسباب تاريخية كثيرة، وتوفير فرص التمويل المناسبة لها.

١٣ – تكليف وزارة الأوقاف في كل بلد بالعمل على تشجيع إنشاء أوقاف جديدة، وإقامة الهيكل المؤسسي اللازم للمساعدة في إنشاء أوقاف جديدة، وتشجيع الأفراد على إقامتها وتقديم التسهيلات الضريبية والإدارية وغيرها، وكذلك الإعانات الإدارية والمالية لها حتى تتمكن من أداء دورها الاجتماعي والاقتصادي

خامساً:- التكافل الاجتماعي ودوره في تنمية المجتمع:

التكافل الاجتماعي:

يقصد بالتكافل الاجتماعي: أن يكون أفراد المجتمع مشاركين في المحافظة على المصالح العامة والخاصة ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية، بحيث يشعر كل فرد فيه أنه إلى جانب الحقوق التي له أن عليه واجبات للآخرين وخاصة الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة وذلك بإيصال المنافع إليهم ودفع الأضرار عنهم.

فهو في الأساس التزام الأفراد بعضهم نحو بعض، "وهو لا يقتصر في الإسلام على مجرد التعاطف المعنوي من شعور الحب والبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يشمل أيضًا التعاطف المادي بالتزام كل فرد قادر بعون أخيه المحتاج ويتمثل فيما يسميه رجال الفقه الإسلامي بحق القرابة وهو التزام المسلم الغني بالإنفاق على قرابته الوثيقة من الفقراء كأصوله وفروعه حيث يعتبرونه جزءًا منه ويلتزم شرعا بهم، ومن ثم فإن إنفاق الفرد على أولاده وأحفاده أو والديه أو إخوته الفقراء لا يعفيه من أداء الزكاة وذلك أن دفع زكاته إلى قرابته الوثيقة ممن يعتبرون جزءًا منه، يعتبر كأنه دفعها إلى نفسه فلا تجزيه، وهو إن أسقط عنه حق القرابة فإنه لا يسقط عنه حق الزكاة بخلاف القرابة البعيدة، فيفضل أداء الزكاة إليها متى كانوا محتاجين لقوله عليه الصلاة والسلام: "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الحرم اثنتان صدقة وصلة".

وحق الماعون، والتزام الضيافة، والتزام الإنفاق في سبيل الله ، والأخذ بالتكافل الاجتماعي في الإسلام هو من قبيل تطبيق النص، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾سورة الحجرات الاية١٠، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا

فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ وَلا تُلْقُـوا بِأَيْـدِيكُمْ إِلَـى التَّهْلُكَـةِ ﴾سـورة البقـرة١٩٥ ، وقولـه تعـالى: ﴿ وَيَسْـأَلونَكَ مَـاذَا يُنْفِقُـونَ قُـلِ الْعَفْـوَ﴾سـورة البقـرة٢١٩، والعفـو هنـا هـو كـل مـا زاد عـن الحاجـة، وقولـه عليـه الصـلاة والسـلام: "المـؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشـد بعضـه بعضًـا" ، وتلخيصه عليه الصلاة والسلام علامة الإيمان بقوله: "والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

نطاق التكافل الاجتماعي:

إن المجتمع المسلم هو الذي يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاما وخلقا وسلوكا، وفقا لما جاء به الكتاب والسنة، واقتداء بالصورة التي طبق بها الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده.

وعندما يلتزم المجتمع بهذه القاعدة يجد التكامل الاجتماعي مكانه بارزا في المجتمع بحيث تتحقق فيه جميع مضامينه ، ذلك أن الإسلام قد اهتم ببناء المجتمع المتكامل وحشد في سبيل ذلك جملة من النصوص والأحكام لإخراج الصورة التي وصف بها الرسول ﷺ ذلك المجتمع بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»، لذا فإن التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس مقصودا على النفع المادي وإن كان ذلك ركنًا أساسيًّا فيه بل يتجاوزه إلى جميع حاجات المجتمع أفرادا وجماعات، مادية كانت تلك الحاجة أو معنوية أو فكرية على أوسع مدى لهذه المفاهيم ، فهي بذلك تتضمن جميع الحقوق الأساسية للأفراد والجماعات داخل الأمة.

والتكافل الاجتماعي في الإسلام ليس معنيا به المسلمين المنتمين إلى الأمة المسلمة فقط بل يشمل كل بني الإنسان على اختلاف مللهم واعتقاداتهم داخل ذلك المجتمع كما قال الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾سورة الممتحنة الآية٨ ؛ ذلك أن أساس التكافل هو كرامة الإنسان حيث قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾سورة الاسراء الاية٧٠.

التكافل داخل الأسرة:

لقد أكد الإسلام على التكافل بين أفراد الأسرة وجعله الرباط المحكم الذي يحفظ الأسرة من التفكك والانهيار.

ويبدأ التكافل في محيط الأسرة من الزوجين بتحمل المسؤولية المشتركة في القيام بواجبات الأسرة ومتطلباتها؛ كل بحسب وظيفته الفطرية التي فطره الله عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرجل راع في بيته ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها».

ويأتي تقسيم وتوزيع المسؤوليات داخل البيت بين الرجل والمرأة بما يضمن قيام الأسس المادية والمعنوية التي تقوم عليها الأسرة فالله سبحانه وتعالى يخاطب أرباب الأسر رجالا ونساء بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾سورة التحريم الاية٩٠ ، ولا تتم هذه الوقاية إلا بالتبصر بالحق وتعليم العلم النافع والإرشاد إلى أبواب الخير وهذا هو قوام التكافل العلمي والتثقيفي للأسرة، وهو مسؤولية مشتركة بين الزوجين فكلما وجد أحدهما في الآخر تقاعسا أو تقصيرا نبهه وأرشده إلى الصلاح والإصلاح. قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾سورة التوبة٧١ ، وقد حث الإسلام على تنمية الود والحب الغريزي بين الرجل والمرأة في حياتهم الزوجية فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾سورة الروم اية٢١.

التكافل داخل الجماعة: لقد أقام الإسلام تكافلا مزدوجا بين الفرد والجماعة فأوجب على كل منهما التزامات تجاه الآخر ومازج بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة بحيث يكون تحقيق المصلحة الخاصة مكملا للمصلحة العامة وتحقيق المصلحة العامة متضمنا لمصلحة الفرد فالفرد في المجتمع المسلم مسؤول تضامنيا عن حفظ النظام العام وعن التصرف الذي يمكن أن يسيء إلى المجتمع أو يعطل بعض مصالحه قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾سورة التوبة٧١ كما أن الفرد مأمور بإجادة أدائه الاجتماعي بأن يكون وجوده فعالا ومؤثرا في المجتمع الذي يعيش فيه قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾سورة المائدة٢، وقال رسول الله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»

هذا التكافل لا يقف عند تحقيق مصالح الجيل الحاضر بل يتعدى ذلك إلى نظرة شاملة تضع في الاعتبار مصالح أجيال المستقبل، وهو ما من شأنه أن يسهم في حل كثير من الأزمات المعاصرة ويحاصر كثير من الأخطار التي تواجه مستقبل البشرية والتي نشأت من جراء لهاث هذا الجيل وراء مصالحه دون اعتبار للمستقبل البشري العام، وهي أخطار ومشكلات كثيرة لعل من أخطرها مشكلة البيئة والموارد الطبيعية، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ

وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾سورة الحج٤٠.

رعاية حق الجار: ومن مظاهر التكافل في الإسلام أيضا رعاية حقوق الجوار فقد أكد الإسلام على البر بالجار وصلته وكف الأذى عنه وإيصال الخير إليه، قال تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾سورة النساء اية ٣٦، وقال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»، وقال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يأمن جاره بوائقه) »، وحدد حقوق الجار فقال: «إن مرض عدته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها وإن اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده».

كفالة الفقراء والمساكين:

إن النصوص الإسلامية ذاخرة بالحض على كفالة الفقراء والمساكين ومشاركتهم آلامهم وتنفيس الكرب عنهم وبذل العون لهم ماديا ومعنويا.

إن الإسلام في مواجهة المشكلات الاجتماعية يفرض الحد الأدنى لاستقامة الحياة وجريانها على الصلاح ثم يفتح المجال أمام التطوع والإحسان مع الترغيب فيه والحث عليه وبيان ما ينتظر صاحبه من جزاء في الدنيا والآخرة.

كفالة الصغار والأيتام:

سبق عند الحديث عن التكافل داخل الأسرة أن الإسلام يهتم بالطفولة ويلزم الآباء برعاية الأبناء وتربيتهم حتى بلوغ سن الرشد مع القدرة على استقلالهم بالمسؤولية.

فإذا فقد هؤلاء الأبناء آباءهم فإن المسؤولية تنتقل بشكل متدرج إلى الأقارب القادرين فإذا انعدموا قامت على المجتمع بأسره.

وقد ورد في الحث على كفالة الأيتام والعناية بهم ما يبعث في نفس المؤمن دافعا قويا إلى ذلك، إضافة إلى المسؤولية الواجبة والتي تطالب الدولة ، ممثلة في المجتمع ، بالقيام بهذه الكفالة ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾سورة الضحي الاية٩ ، ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾سورة النساء اية ٣٦ ، ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ ﴾سورة البقرة١٧٧، ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾سورة الماعون١-٣، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾سورة الانفال٤١.

وإذا تصفحنا تاريخ الإسلام وجدنا أن كثيرا من عباقرة الإسلام والمبدعين على أكثر من صعيد كانوا قد فقدوا آباءهم وهم صغار وما ذلك إلا نتاج ملموس للتوجيهات والسياسات الإسلامية في هذا الصدد والتي أصبح المجتمع يقوم بها بشكل طوعي وتلقائي حتى في الأوقات التي تتخلى فيها الدولة عن واجبها فإن هذه العناية لم تغب إذ قام بها المجتمع وأقام لها من المؤسسات الخيرية ما يلبي حاجتها.

ومن مظاهر العناية التي أولاها الإسلام للأيتام حفظ أموالهم والسعي في تنميتها والابتعاد عن كل تصرف ضار بها ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ سورة الأنعام آية:١٥٢، والإسراء:٣٤.﴾ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾سورة النساء١٠، كما دعا إلى استثمارها والإنفاق عليهم﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾سورة البقرة١٢٢، ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾سورة النساء اية٥ .

الإسلام دين الضمان والتكافل الاجتماعي:

إن الإسلام هو دين الضمان الاجتماعي من حيث التزام الدولة، وهو دين التكافل الاجتماعي من حيث التزام الأفراد، ويتمثل الضمان الاجتماعي في الإسلام في ضمان "حد الكفاية" لكل فرد يتواجد في مجتمع إسلامي أيا كانت ديانته وأيا كانت جنسيته تكفله له الدولة الإسلامية عن طريق مؤسسة الزكاة، وذلك متى عجز أن يوفره لنفسه لسبب خارج عن إرادته كمرض أو عجز أو شيخوخة ... إلخ، ثم يأتي التكافل الاجتماعي من جانب الأفراد، كعنصر مكمل لالتزام الدولة وجهودها في إزالة العوز والقضاء على القهر.

إننا نرى أن التنمية الاجتماعية والاقتصادية إنما تكمن فيما يقرره الإسلام من ضرورة التعاون بين الدولة والأفراد، وأن لكل منهما مجاله بحيث يكمل كل منهما الآخر، والواقع أن الدولة لا تستطيع القيام بكل شيء، وأن تدخلها المطلق أو إحجامها المطلق، يؤدي إلى مساوئ عديدة، والمناط في الاقتصاد الإسلامي هو تحقيق التعاون والتكامل بين الدولة والأفراد على الوجه السابق بيانه.

الوظائف الأساسية للمجتمع العام :

من خلال ما سبق يمكن تصوير الوظائف الأساسية للمجتمع في النقاط التالية :

(أ) . تأمين الشروط الأساسية للحياة المادية ؛ فمن حق كل من يعيش في مجتمع أن يلقي من الرعاية والحماية والتكافل ما يمكنه من الاستمرار في الحياة ، والإسلام أول دين شرع القتال من أجل الفقير ، وأخذ حقه من الغني ، وعلى الدولة أن تضع نصب عينيها تحقيق الكفاية من ضرورات الحياة ، ومن التعليم والتدريب والصحة وإيجاد فرص العمل لمواطنيها ، واتخاذ كل التدابير لتأمين ذلك ، وعلى كل القادرين في المجتمع أن يساعدوها في تحقيق هذه الأهداف ، وإن المجتمع الذي لا يقوم بالحد الأدنى من حاجات أفراده هو مجتمع مريض.

(ب) . توفير شروط الحياة المعنوية والروحية ، إذ من حق المسلم على مجتمعه أن يجد فيه الحرية والحفاظ على الحقوق ودفع الظلم وتكافؤ الفرص والنصح والتوجيه ، وتأمين كل ما يحفزه ، ويساعده على القيام بأمر الله عز وجل.

(ج) . تنظيم الطاقة الحيوية للفرد من خلال وسائله في ضبط أفراده ورقابته عليهم، بمعنى أن يحول المجتمع الفرد من شخص غرائزي يجري خلف شهواته ومصالحه إلى شخص مكيَّف يمارس حرياته ، ويصرف طاقاته ويؤمن مصالحه ضمن القواعد التشريعية والأخلاقية والسلوكية التي يحددها مجتمعه.

(د) . إدارة التكامل ، وحل التوترات التي تحدث بين المكونات المختلفة للحياة الاجتماعية؛ حيث إن حياتنا تخضع لنظم عقائدية وتربوية وتعليمية واقتصادية متعددة ؛ ومن ثم فإن المتوقع حدوث نوع من الخلل والتصادم في علاقة هذه الأنساق بعضها ببعض مما يؤدي إلى تشويه الشخصية الاجتماعية وفقدها للتوازن ، ومن واجب

المجتمع إدارة تلك التوترات ، والتخفيف منها بقدر الاستطاعة ، ولا يستطيع مجتمع أن يفعل شيئاً ذا قيمة من كل ما سبق ما لم يعتمد في تعامله أسلوب المفاتحة والنقد والمراجعة ، وقبل ذلك الشفافية والرحمة وتطبيق العدالة المطلقة

خاتمة

الواجب على المسلمين فيما بينهم التناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه كما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾سورة المائدة٢، وقال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾سورة العصر ١-٤ ، وقال النبي الكريم ﷺ : «الدين النصيحة " قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ».

هاتان الآيتان مع الحديث الشريف كلها تدل على وجوب التناصح والتعاون على الخير والتواصي بالحق، فإذا رأى المسلم من أخيه تكاسلا عما أوجب الله عليه، أو ارتكابا لما حرم الله عليه وجب نصحه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر حتى يصلح المجتمع ويظهر الخير ويختفي الشر كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾سورة التوبة٧١ ، وقال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »

إن المجتمع – كما يقول مالك بن نبي – الذي يعمل فيه كل فرد ما يحلو له ليس مجتمعاً ولكنه إما مجتمع في بداية تكونه وإما مجتمع بدأ حركة الانسحاب من التاريخ فهو بقية مجتمع.

واليهود حين أرادوا تدمير المجتمعات الغربية خططوا لتضخيم جانب الفردية على حساب الحس الجماعي حتى كثرت القضايا التي يعدها العرف هناك خصوصيات تخضع بمزاج الفرد ومصلحته، وكانت النتيجة التي انتهوا إليها تفكك تلك المجتمعات على نحو مخيف ذهب بأمن الحياة وروائها وسيعصف بكل الجهود العزيزة التي بذلت في بناء الحضارة الحديثة في يوم من الأيام.

وقد انتقلت هذه العدوى إلى بلاد المسلمين فصار كثير من المسلمين غير مستعد لقبول نصيحة من أحد بحجة أن ما يلاحظ عليه يعود إلى خصوصياته التي لا تقبل أي نوع من التدخل. وهذا الصنف من الناس – وهو يمثل اليوم في المسلمين الأكثرية – على غير دراية بفلسفة هذا الدين في إقامة المجتمعات وإنشاء الحضارات مما يجعل رؤيتهم للحياة كثوب ضم سبعين رقعة مختلفة الأشكال والألوان.

وبإمكان المسلم من خلال نظرة سريعة في بعض النصوص أن يتعرف وجهة الشريعة في هذا، وإليك حديث السفينة الذي وضع النقاط على الحروف في هذه المسألة بصورة مدهشة، فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»

إن هذه السفينة تمثل المجتمع الإسلامي الذي توحدت عقائده وتوحد اتجاه سيره وتوحدت غاياته والمخاطر والتحديات التي تواجهه، وإن القائم في حدود الله تعالى هو تلك الفئة الصالحة الملتزمة بشرع الله الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر، وإن الواقعين فيها هم أولئك الذين ينتهكون حرمات الله من ترك الواجبات والوقوع في المحرمات، والحديث يقرر أن ما يتوهمه بعض الناس من خصوصياته ليس كذلك كما أن الذين احتلوا أسفل السفينة كانوا واهمين في ظنهم أن لهم الحرية الكاملة في التصرف في أرض السفينة ، وذلك لأن تصرفهم فيها بخرقها يمس مصالح الذين فوقهم بل مصائرهم.

ومن ثم وجب الأخذ على أيدي العصاة وعدم مداهنتهم وملاينتهم؛ لأن المعصية حين تشيع في الناس يستوجبون نزول العقوبة وذهاب الريح، ولا تشيع الفاحشة إلا حين يغض المجتمع الطرف عنها وطالما أجهض الجهد الإنساني الضخم في إعمار الأرض بسبب التقصير في جانب العبودية لله تبارك وتعالى وشواهد الماضي والحاضر ناطقة بذلك، وكيف لا والله تعالى يقول: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾سورة الانفال الاية٥٠ ، وكيف لا والرسول ﷺ يقول مجيباً لمن سأله: أنهلك وفينا الصالحون؟ : «نعم إذا كثر الخبث».

واستحق بنو إسرائيل اللعن في كتاب الله على ألسنة أنبيائهم؛ لتركهم التناصح والأمر بالمعروف، كما قال جل وعلا: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾سورة المائدة٧٨، فحق عليهم – بعدم التناصح، وراحة النفس بالجريمة التي يعملها الآخرون – أن وجب عليهم لعن الله، وهو الطرد من

رحمته جل وعلا.

والعصيان والاعتداء جريمة؛ لأن في ذلك مجاوزة لحدود الله التي حد لعباده، وأعظم الجرائم عصيان الله في أمره، والاستكبار على شرعه، كما فعل إبليس– لعنه الله– حيث أخرجه ذلك من رحمة الله واستحق مقته وغضبه إلى الأبد، فأعظم بها من خسارة، قال ابن كثير في تفسيره: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم » قال يزيد، وأحسبه قال: «في أسواقهم، وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فقال: لا والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطرا » وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه: «كلا والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، أو تقصرنه على الحق قصرا ".

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأسس المتينة، التي تقي المجتمعات من الجريمة، وبهيمنة الرجال العارفين لما يدعون إليه المدركين حقيقة ما ينهون عنه بحكمة وموعظة حسنة يمكن بتوفيق من الله، وبالنية المخلصة، والصدق في القول والعمل – حماية للأمة من تسلط فئة نبت الشر في قلوبهم، وفقدوا هيمنة الرقابة الذاتية لنقص إيمانهم، والرقابة الأسرية لعدم توجيههم وقت التهيؤ الذهني، والاستعداد العقلي للقبول؛ لأن أمثال هؤلاء في المنزلة الثالثة، بحيث تردعهم السلطة، وتؤثر فيهم التوجيهات، وتخوفهم الجزاءات الملائمة معهم، ذلك أن سلطة الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر يجب أن تكون مستندة إلى قاعدة صلبة من الإيمان، الذي يملأ النفس بحرارة اليقين، ويمدها بالشحنات الدافعة إلى العمل، كما يجب أن تدعم بالسلطة الشرعية، لينزجر المعاندون، ويقمع المكابرون، ويجازى المتجاوزون المصرون؛ لأن الله

يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، والرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

لقد جعل الله جل وعلا في شرائع دين الإسلام، وفي كل أمر ونهي حكمة بالغة، تتصلح بها الحياة في كل زمان ومكان، فالزواجر والحدود التي شرعها الله، ونظمتها تعاليم الإسلام، ليست إلا وقاية للمجتمع من تسلط فئة على فئة، وحماية لأفراده وأمنه من أصحاب النزعات الشريرة، أو الإغراءات المادية.

ولما كان الدين النصيحة والتوجيه، فإن الفرد مسئول بأن يكون عينا تراقب الأضرار؛ للتنبيه عليها والتساند مع الجهات المعينة في إنكار المنكر، والترغيب في المعروف، كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة. قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم ».

فنصح العامة يتم بالتوعية والتنبيه على الأخطاء برفق ولين؛ لأن الثمرة لا تتم إلا بهما، أما إذا خيف اتساع النطاق، واستمراء الباطل، فيجب على الجهة المعنية أخذهم على الحق بالقوة؛ لأن الأمن حين يضطرب حبله لا يضطرب على الطالحين وحدهم، وإن الأسعار حين تغلو لتفوق طاقة الناس لا ترتفع بالنسبة للطالحين فقط، وإن العدو حين يستبيح الحمى لا يستثنى أحداً وهكذا ...!

وإذا كان أصحاب الأهواء والشهوات لا يبصرون أكثر من مواقع أقدامهم ولا يعبأون بحاضر ولا مستقبل فإن على المجتمع أن يتحمل المسؤولية تجاه حاضره ومستقبله وآخرته.

قائمة المصادر والمراجع

اولا: المراجع العربية:-

١. . جيمس داو، تعريف علمي للدين، ترجمة هاجر كنبع، مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث،٢٠١٦م

٢. إبراهيم عبدالعزيز إبراهيم محمد السمري:تنمية المجتمع من منظور إسلامي،قسم الدراسات والأبحاث،٢٠١١م،www.alukah.net

٣. إبراهيم حسن حسن: "تاريخ الإسلام. ج٤، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٦٤م.

٤. ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : د. علي منتصر الكتاني ، ط/٤ مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥هـ ، (١١٨/١).

٥. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، (٤٠٢/٥).

٦. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، "تفسير القرآن العظيم". بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ.

٧. احمد الخشاب : الاجتماع الديني: مفاهيمة النظرية وتطبيقاته العملية، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة،١٩٧٠م

٨. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ت: محمد عبدالهادي أبو ريدة، بيروت: دار الكتاب العربي للنشر،١٩٩٥م

٩. ألفن جولدنر : الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي، ت: على ليلة، المجلسالأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة،٢٠٠٤

١٠. إيمانويل كانط : الدين في حدود مجرد العقل ، ترجمة فتحي المسكيني ، دار جداول للنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط١، ٢٠١٢م .

١١. بدر بن ناصر البدر: الوقوف على القرآن، مقال بمجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد ٧٧.

١٢. براين تيرنز: علم الاجتماع والاسلام: داسة نقدية لفكر ماكس فيبر، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، مكتبة الجسر، جدة، ١٩٩٠م.

١٣. بن الحجام بن مسلم القشيري مسلم:. "السحيح". تحقيق وترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة،١٣٧٥هـ..

١٤. بوتومور: تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة ،محمد الجوهري وآخرون،ط٤، دار المعارف، ١٩٨٠م.

١٥. بول تيليش: الدين .. ماهو ؟ ، ترجمة وتعليق مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مكتبة دار الكلمة ـ القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤م.

١٦. تقى الدين أبو العباس الدمشقى، السياسة الشرعية، ط وزارة الشؤون والأوقاف، المملكة السعودية، د.ت.

١٧. جعفر عبد السلام على، دور المسجد كمركز للحضارة الإسلامية، الندوة العالمية عن الدعوة والتربية الإسلامية المنعقدة فى أندونيسيا، ٢٠١٢م .

١٨. جون سكوت، جوردن مارشال: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرين، القاهرة، المركز المصري العربي للطباعة، المجلس الأعلي للثقافة،٢٠١١م

١٩. حسين مؤنس: "المساجد"، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،١٤٠١هـ.

٢٠. خلف الجراد : معجم الفلاسفة المختصر ، مؤسسة مجد الجامعية ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

٢١. خير الدين وائلي. "المسجد في الإسلام، رسالته، نظام بنائه، أحكامه، آدابه، بدعه". د.ن. ١٣٩١هـ.

٢٢. زكي محمد اسماعيل: نحو علم الاجتماع الاسلامي، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية،١٩٨٨م.

٢٣. زيدان عبدالباقي : علم الاجتماع الإسلامي. القاهرة: مطبعة السعادة،١٩٨٤م

٢٤. زيدان عبدالباقي: علم الاجتماع الديني، مكتبة غريب،١٩٨١م

٢٥. سامية مصطفي الخشاب : علم الاجتماع الاسلامي ،ط٢، دار المعارف، ١٩٨١م

٢٦. سامية مصطفي الخشاب: دراسات في علم الاجتماع الديني، الكتاب الاول،ط٢، دار المعارف، ١٩٩٣م.

٢٧. سعيد إسماعيل علي: "معاهد التعليم الإسلامي". القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

٢٨. سعيد إسماعيلي علي: "أصول التربية الإسلامية". القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

٢٩. سهيل و مسعودي ، مرداد بشروئي: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة ، ترجمة محمد غنيم ، دار الساقي ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢م

٣٠. سيد قطب"نحو مجتمع إسلامي". ط٣، بيروت، دار الشروق،: ١٣٩٨هـ.

٣١. شيت محمود الخطاب: "الوسيط في رسالة المسجد العسكرية". ١٤٠١هـ.

٣٢. صالح بن ناصر الخزيم، وظيفة المسجد في المجتمع، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ

٣٣. صلاح مصطفي الفوال: المدخل لعلم الاجتماع الاسلامي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الكتاب الاول،٢٠٠٠م

٣٤. عبد الرحمن النحلاوي: "أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع" ط٢، دمشق، دار الفكر،١٤٠٣هـ.

٣٥. عبد الفتاح عفيف طبازة: "روح الدين الإسلامي". بيروت، دار العلم للملايين،١٩٧٨م.

٣٦. عبد الكريم بكار : مدخل إلى التنمية المتكاملة . رؤية إسلامية ، ط/١ دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٩م

٣٧. عبد الكريم بكار: في إشراقة آية ﴿ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ ، مقال بمجلة البيان ع. ٢٣،. تصدر عن المنتدى الإسلامي.

٣٨. عبد الله البشير: "التربية في المسجد والكتاب والخلوة". مركز البحوث التربوية والنفسية، مكة المكرمة، ١٩٨٠م

٣٩. عبد الله بن أحمد الزيد: أهمية الوقف وحكمة مشروعيته ، بحث بمجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد ٣٦

٤٠. عبدالله محمد عبدالرحمن: مقدمة في علم الاجتماع، مطبعة البحيرة،د.ت.

٤١. علي سامي النشّار: نشأة الدين (النظريات التطورية والمؤلهة)، ط١، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، ١٩٩٥م.

٤٢. علي عبد الحليم محمود :"المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي". القاهرة، دار المعارف، د.ت..

٤٣. علي عبد الحليم محمود: "فقه الدعوة إلى الله". ط٤، بدون ذكر الناشر،١٤١٣هـ.

٤٤. علي عبدالرازق جلبي وآخرون: التغير الاجتماعي، دار كلمة للنشر والتوزيع، د.ت.

٤٥. علي ليلة: النظرية الاجتماعية ونقد المجتمع، القاهرة، المكتبة المصرية للطباعة،٢٠٠١م، ص٥٢.

٤٦. علي ليلة: مشروعية بناء علم الاجتماع من منظور إسلامي، القاهرة، مركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٧م.

٤٧. فراس السواح : دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ـ سورية ، ط٤ ، ٢٠٠٢م .

٤٨. فضيل دليو: علم الاجتماع من التغريب إلي التأصيل، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م

٤٩. لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، ج٣ ، ترجمة: خليل احمد خليل ، إشراف :احمد عويدان ، دار عويدا، بيروت – باريس ، ط١ .

٥٠. محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامي، بغداد: دار الصحوة،١٩٩٨م

٥١. محمد أحمد العزب، مجلة الأزهر، ج ١٠، سنة ٢٠٠٣م.

٥٢. محمد احمد بيومي: علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،٢٠٠٢م.

٥٣. محمد احمد بيومي: علم الاجتماع الديني، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ص٢٠٠٣م.

٥٤. محمد أحمد بيومي: علم الاجتماع بين الوعي الإسلامي والوعي المغترب، دار المعرفة الجامعية،١٩٩٣م.

٥٥. محمد بن إسماعيل البخاري: "الصحيح الجامع"، بيروت، دار المعرفة. ١٣٧٩هـ.

٥٦. محمد بن سعد الشويعر: الوقاية من الجريمة في التشريع الجنائي الإسلامي، بحث بمجلة البحوث الإسلامية الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، عدد (٢٩)

٥٧. محمد بن سعد الشويعر: الوقاية من الجريمة في التشريع الجنائي الإسلامي، بحث بمجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، عدد (٢٩)

٥٨. محمد بن على العرفج، المشروع والممنوع فى المسجد، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٥٩. محمد بن يزيد ابن ماجه: "السنن"، ترتيب وتحقيق وترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة ، د.ت.

٦٠. محمد سيد محمد، أمة تدعو إلى الخير، سلسلة فكر المواجهة، ط رابطة الجامعات الإسلامية، ٢٠٠٩م.

٦١. محمد شوقي الفنجري: الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، وزارة الأوقاف

٦٢. محمد شوقي الفنجري: الإسلام والتأمين ، طبعة سنة ١٩٧٩م، لناشره عالم الكتب بالقاهرة والرياض، ص٢١ وما بعدها، وكتاب : التوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول له أيضاً

٦٣. محمد عاطف غيث: مقدمة في علم الاجتماع، دار المعارف،١٩٦٢م.

٦٤. محمد عثمان الخشت : المجتمع المدني ، سلسلة الشباب العدد (٨) الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٤م

٦٥. محمد عثمان الخشت : المجتمع المدني ، ط/١ سلسلة الشباب ، سلسلة نصف شهرية تصدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ، العدد (٨)

٦٦. محمد عثمان الخُشت: تطور الأديان (قصة البحث عن الإله)، ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ط١، ٢٠١٠م .

٦٧. محمد عثمان، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكة الباقية بمدينة القاهرة، دار الوفاء، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٦٨. محمد قطب: "منهج القرآن في التربية"، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ.

٦٩. محمود عودة: أسس علم الاجتماع، دار الكتب المصرية،٢٠٠٦م.

٧٠. مصطفى الشكعة: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون، الناشر: الدار المصرية اللبنانية،١٩٩٢م

٧١. مصطفى عبد الرازق: تمهيد في تاريخ الفلسفة، مكتبة الثقافة، ٢٠٠٧م

٧٢. منصور زويد المطيري: الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، القاهرة : دار أخبار اليوم – إدارة الكتب و المكتبات، ١٩٩٣م

٧٣. ناصر بن عبد الكريم العقل، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٤. نبيل رمزي : علم اجتماع المعرفة، ط/١ ، دار الفكر الجامعي ، الإسكندرية .

٧٥. نوبى محمد حسن، عمارة المسجد فى ضوء القرآن والسنة، دار نهضة الشرق، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٢م.

٧٦. يوسف القرضاوي. "العبادة في الإسلام". بيروت، مؤسسة الرسالة،١٣٩٣هـ

ثانيا: المراجع الاجنبية

1. Wolfson, Harry Austryn, Studies in the History of Philosophy and Religion, vol 1, Cambridge, Harvard university press, 1973.,p.420.

2. James, William, The Varieties of Religious Experience, Published by Arc Manor, Printed in the United States of America, 2008., p. 31.

3. Parsons, T: The Social System, The free Press,Glencoe,Illinois,1952,p.26- 51

ثالثاً: المواقع الالكترونية

١. http://ar.wikipedia.org

تم بحمد الله